أقباط

مسلمون قبل محمد ﷺ

تقديم وتذييل
أ/د. محمد عمارة

فاضل سليمان

للإنتاج الإعلامي والتوزيع

أقباط

مسلمون قبل محمد ﷺ

تقديم وتذييل

د. محمد عمارة

بقلم

فاضل سليمان

إهداء

إلى جدي وأبي عرفانا بجميلهما

إلى زوجتي المربية الفاضلة والزوجة الحمولة

إلى أنس وفاطمة الزهراء هذه هي مصر وهذا تاريخها

مقدمة

بالتوحيد الدينى- توحيد الله سبحانه وتعالى- بدأت البشرية تاريخ الدين.. فآدم -عليه السلام- هو أبو البشرية.. وهو الذى خلقه الله - الواحد الأحد الفرد الصمد- وسوّاه ونفخ فيه من روحه واستخلفه فى الأرض ليستعمرها ويعمرها هو وذريته- وفق بنود عقد وعهد الاستخلاف، والوكالة عن الله الواحد الأحد، الذى ليس كمثله شيء.

وبتكاثر ذرية آدم، واتساع دائرة البشرية، تعددت النبوات والرسالات، حاملة رسالة التوحيد إلى جماعات وأمم وشعوب وقبائل الأنبياء والمرسلين.. ولقد عرف تاريخ النبوات والرسالات -وتاريخ التوحيد- على عهد آدم- نبوة رسول الله «شيث» -الذى كان ثانى الأنبياء- ونبوة رسالة نبى الله «إدريس» -الذي كان ثالث الأنبياء- والذى بعثه الله فى مصر.. وأدرك من عمر آدم ثلاثين عامًا.. ولقد جاء ذكره -عليه السلام- فى القرآن الكريم: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧].

وكما كان التوحيد وحيًا إلهيًا، بدأت به البشرية خطواتها الأولى على طريق التدين والدين.. فلقد كان الدين مصدر المدنية والعمران، التى من

أجلها استخلف الله آدم -عليه السلام- فذكرت المصادر التى أرَّخت لفجر الضمير الدينى أن إدريس -عليه السلام- كما بشر بالتوحيد الدينى -فى مصر- كان نبى المدنية والعمران.. فكانت مصر فى طليعة البلاد التى توطن فيها التوحيد، والتى سبقت غيرها على طريق التمدن والعمران.. وبعبارة «ابن جلجل» [٣٧٢هـ - ٩٨٢م]: «فإن إدريس -عليه السلام- «قد رسم تمدين المدن، وجمع له طالبى العلم بكل مدينة، فعرفهم السياسة المدنية، وقرر لهم قواعدها.. وعلمهم العلوم، وهو أول مستخرج الحكمة، وعلم النجوم، فإن الله -عز وجل- أفهمه أسرار الملك وتركيبه، ونقط اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب».

وكما استمرت المدنية والحضارة -فى مصر- تغالب التخلف والانحطاط.. استمر فيها التوحيد -كذلك- يغالب عاديات الوثنية والشرك بالله.. فشهد تاريخها «أمنحتب الثالث» [١٣٨٧ - ١٣٦٠ ق. م] الذى ناجى الله الواحد الأحد، فقال: «أيها الموجود دون أن تُوجَد، مصورٌ دون أن تُصَوَّر، هادى الملايين إلى السبل، الخالد فى آثاره التى لا يحيط بها حصر».

كما شهد تاريخ التوحيد -فى مصر- أيضًا «أخناتون» «أمنحتب الرابع» [١٣٧٠ - ١٣٤٩ ق. م] الذى ناجى ربه الواحد الأحد، فقال: «أنت إله، يا أوحد، لا شبيه لك، لقد خلقت الأرض حسبما تهوى، أنت وحدك خلقتها ولا شريك لك، أنت خالق الجرثومة فى المرأة،

والذى يذرأ من البذرة أناسًا، جاعل الولد يعيش فى بطن أمه، مهدئًا رياه حتى لا يبكى، ومرضعًا إياه فى الرحم، وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته، حينما ينزل من الرحم فى يوم ولادته، وأنت تفتح فمه دائمًا وتمنحه ضروريات الحياة».

وعندما بعث الله المسيح عيسى بن مريم -عليهما السلام- لتجديد رسالة التوحيد -التى جاء بها موسى- عليه السلام- بعد أن حول اليهود التوحيد الكونى إلى عنصرية قبلية- وكان ذلك فى ظل القهر الاستعمارى الرومانى للشرق وللنصرانية الشرقية- حدث انحراف «بولس» بهذا التوحيد النصرانى إلى التثليث، وذلك عندما طوع بولس نصرانية المسيح -عليه السلام- لوثنية الرومان.

وفى مواجهة هذا الانقلاب -الذى أحدثه بولس -ارتفع من مصر- ذات التاريخ الأعرق فى التوحيد- صوت قس كنيسة بوكلى الإسكندرية «آريوس» [٢٥٦- ٣٣٦م] الذى أعلن:

«أن الله جوهر أزلى أحد، لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه مخلوق؛ حتى «الكلمة» فإنها كغيرها من المخلوقات، مخلوقة من لا شىء، وأن المسيح لم يكن قبل أن يولد».

وكما سادت الآريوسية فى الكثير من ربوع الشرق والعالم فإنها قد تعرضت للمحن والاضطهادات من قبل المثلثة الرومان..

والأرثوذكس.. لكنها ظلت حية تقاوم، حتى ظهر الإسلام ودعا رسوله ﷺ قيصر الروم «هرقل» [٦١٠ - ٦٤١م] إلى رفع نير الاضطهاد الرومانى عن رقاب «الأريسيين»: «أسلم يعطك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين».

ثم جاءت الفتوحات الإسلامية لتحرر الأريسيين -مع كل أصحاب العقائد والمذاهب والفلسفات.. تاركة الناس وما يدينون.. لأنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولأن هذه الصفحة من صفحات الاقتراب من التوحيد الخالص قد غبشها تاريخ النصرانية الثالوث والتثليث.. كانت أهمية هذا الكتاب، الذى يسلط الضوء الساطع علي تاريخ «الأريوسية» كجزء من تاريخ التوحيد.. الذى بدأ به الدين.. والذى ظلل بناء المدنية والعمران.. منذ بدء الخلق.. والذى سيظل كذلك إلى يوم الدين.

إنه كتاب مهم.. كتبه كاتب يتمتع بوعى متميز.. نرجو له ولكاتبه أن يكونا طاقة من «الوعى الدينى».. وأن ينفع الله بهما إن شاء الله.

دكتور محمد عمارة

مدخل وتمهيد

الحمد لله منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أرسل موسى وعيسى ومحمدًا-عليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليمات- ليكونوا للناس مصابيح للهدى والخير.

أضع هذا الكتاب بين يدي القارئ المسلم وغير المسلم، المصري وغير المصري، مؤكدا على حق كل إنسان في اعتناق مايرى من عقائد، وممارسة ما يشاء من عبادات وأمره إلى الله، هو يفصل بين الناس جميعا يوم القيام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

كما أؤكد على أهمية التعايش بين الناس جميعا من مختلف الملل والنحل على أساس من الاحترام المتبادل والتعاون من أجل صلاح المجتمعات، حيث إنه كما أن الآمال مشتركة فالهموم والتحديات أيضا مشتركة. فلا السرطان ولا الفقر ولا البطالة يفرقون بين مسلم ومسيحي.

ولا ينكر عاقل وجود احتقان بين المسلمين والمسيحيين وخاصة في بلدي مصر، وهو ناتج عن تعصب كل طرف ضد الآخر، فالمسيحي

ينظر للمسلم على أنه وافد من جزيرة العرب بينما هو صاحب البلد الأصلي، والمسلم ينظر للمسيحي على أنه يحاول الاستقواء بالغرب للقفز والسيطرة على زمام الأمور في البلد وتحويلها لدولة مسيحية.

وأرى أن علاج هذا الاحتقان يكون بالحوار بين الطرفين على مستوى القواعد الشعبية، شريطة أن يبدأ هذا الحوار على أساس صحيح يبدأ من معرفة الحقائق التاريخية لأوهام طالما رددها الناس وصدقوها فسببت العقد النفسية لدى كل طرف.

هذا الكتاب هو رسالة ماجستير بعنوان «الدفاع عن النفس أحد دوافع فتح المسلمين لمصر» -أشرف عليها فضيلة الدكتور إبراهيم نجم وناقشها فضيلة الدكتور محمد عمارة والدكتور عبد الله حكيم كويك- وأرى فيه حلا لتلك العُقَد النفسية التي أصابت المسلمين والمسيحيين على حد سواء.

فأخي مرقص- المصري المسيحي- سيستريح عندما يثبت له أن مصر لم تكن أبدا دولة مسيحية استولى عليها المسلمون وبدلوا دينها، وسيستريح عندما يثبت له أن إخوته المسلمين المصريين بملايينهم التي تقترب من الثمانين لا يمكن بأي حال أن يكونوا أحفاد بضعة آلاف من الجنود العرب الذين بقوا في مصر بعد الفتح.

وأخي حسن- المسلم المصري- سيستريح ويرفع رأسه عندما يثبت له أن أجداده- في معظمهم- ليسوا من العرب الوافدين ولا حتى مسيحيين تخلوا عن مسيحييتهم إلى الإسلام، ولكنهم مصريون موحدون آمنوا قبل مولد النبي محمد بن عبد الله ﷺ بقرون عديدة بدين الإسلام وكان شعارهم لا إله إلا الله عيسى بن مريم رسول الله، بشر، مخلوق، غير إله بل نبي ومعلم.

وإني لأرى أن أكذوبة دخول المسيحيين في الإسلام تفاديا لدفع الجزية افتراء مهينا لإخواني المسيحيين قبل أن يكون افتراء على المسلمين.. ارفع رأسك عاليا يا أخي المسيحي المصري؛ فإن أجدادك الذين صمدوا أمام الاضطهاد المذهبي الذي مارسه الرومان عليهم ليغيروا مذهبهم من الأورثوذوكسية إلى الكاثوليكية لم يبيعوا دينهم تفاديا لدفع الجزية وقدرها ديناران كل عام، تفرض على الرجال القادرين على حمل السلاح فقط دون النساء والأطفال والشيوخ، فقد جمع عمرو بن العاص- رضي الله عنه- ١٢مليون دينار كل عام بينما كان يجمع المقوقس قبله ٢٠ مليونا للرومان، أي أن الضرائب قد خفضت عن كاهل المصريين بواقع ٤٠٪، بل إنه اعترض اعتراضا شديدا في عهد الخليفة عثمان لما جمع واليه على مصر-عبد الله بن أبي السرح- ١٤ مليونا لأنه رأى ذلك عبئا على المصريين المسيحيين.

سيستريح حسن ومرقص على حد سواء عند علمهم أن من رفع الاضطهاد عن الأورثوذوكس في مصر وأمّن بطريكهم -الأنبا بنيامين- بل مول بناء الكنيسة المعلقة في الإسكندرية من أموال الجزية هو عمرو بن العاص، ومن يريد دليلا فليسأل البابا شنودة بطريرك الأقباط، أطال الله في عمره وهداه لما فيه خيره وخير شعبه وأبعد عنه وعنهم شياطين الإنس والجن.

أرجو أن ينظر إخواني المسيحيون لهذا الكتاب نظرة موضوعية، وألا يقول أحد إني أهاجم المسيحية، فكيف لي بذلك وأنا أرى في نفسي مسيحيا لاتباعي السيد المسيح، وموسويا لاتباعي موسى، وإبراهيميا لاتباعي إبراهيم، ومحمديا لاتباعي محمدا -عليهم صلوات الله وسلامه -واختصار ذلك كله أراني مسلما موحدا شأني شأن جميع الأنبياء والمرسلين.

إن شراكة المسلمين والمسيحيين في هذا البلد تمتد عشرين قرنا من الزمان لا أربعة عشر قرنا فقط، وهذا ما سيثبته البحث.

شبهة انتشار الإسلام بحدّ السيف..

من أكبر التهم التي وجهت للإسلام على طول التاريخ هي أنه دين انتشر بحد السيف[١] وكانت الفتوحات الإسلامية ذريعة كبرى لأعداء

(١) د. نبيل لوقا بباوي، انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، دار البباوي للنشر القاهرة صفحة ٧.

الإسلام لإثبات نظريتهم المسيئة للإسلام، ودأب المسلمون على دفع تلك التهمة بالتصريح بأنه دين السلام وأن الحرب مأذون بها كاستثناء وليست هي الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، وبهذا قال سفيان الثوري وسحنون من المالكية، ونسب لابن عمر - رضي الله عنه - وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ومن المعاصرين محمد رشيد رضا، ومصطفى السباعي.

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول، منها قول النبي ﷺ: **«لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا»**(١). وحيث إن النبي ﷺ نهى عن الرغبة في الحرب وتمنّي لقاء العدو، وهذا يدل على أن حالة الحرب حالة طارئة، لا يشرع للمسلم أن يتمناها إلا إذا قامت أسبابها، وتوافرت دواعيها، كما أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بسؤال الله العافية والسلامة، فإن قدر للمسلم لقاء عدوه فالمشروع حينئذ الصبر والثبات، وكل هذا يفيد أن الأصل في العلاقة مع الكفار هو السلم(٢).

(١) صحيح البخاري دار الشعب سنة١٩٥٨ ج ٤ صـ ٤٩.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل في مقاله المنشور على صفحة علماء الشريعة بعنوان هل الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلم أم الحرب؟ www.olamaashareah.net/

وكان تبرير المسلمين على مر العصور للفتوحات الإسلامية هو أنها كانت لإزالة الطواغيت الذين كانوا عقبة في وجه انتشار الدعوة إلى الله دون إجبار لأحد على اعتناق الإسلام، أي ما يسميه الفقهاء جهاد الطلب، يقول الدكتور القرضاوي: إن الدولة الإسلامية إذا استغاث بها هؤلاء المستضعفون المضطهدون، ولو كانوا من غير المسلمين، وكانت تملك القدرة على إنقاذهم مما هم فيه، وجب عليها أن تستجيب لدعوتهم وتغيث لهفتهم إذا طلبوا نجدتها، فإن نصرة المظلوم وإعانة الضعيف وردع الظالم عن ظلمه واجب شرعي، بل هو واجب أخلاقي في كل دين وكل مجتمع يقوم على الفضائل ورعاية القيم العليا، سواء أكان المظلوم مسلما أم غير مسلم(١).

هذا البحث يسعى لإثبات أن بعض الفتوحات وخاصة بلاد مصر وشمال إفريقية والشام -البلاد الواقعة تحت الحكم الروماني قبل الفتح- لم تكن فقط لتعبيد الناس لله اختيارا وإزالة الطواغيت حتى تتاح لهم فرصة اختيار الدين بحرية، وإنما كانت دفاعا عن النفس ودفعا للظلم الواقع على المسلمين من أهل تلك البلاد، الذين عانوا من القتل

(١) د. يوسف القرضاوي من مقالة مفاهيم جهادية بحاجة لتصحيح www.islamonline.net

والسجن والتعذيب على أيدي المؤمنين بالثالوث المقدس[1] (Trinity) طوال ثلاثمائة عام قبل الفتح.

إشكالية البحث: هي نفي تهمة انتشار الإسلام بالقوة وفرضه على أهل المناطق المفتوحة بالحرب، من خلال دراسة التاريخ الديني والسياسي لإحدى تلك البلاد المفتوحة وهي مصر.

افتراضية البحث: هي إثبات أن فتح مصر كان من ضمن أسبابه الدفاع عن النفس، وذلك بإثبات وجود مسلمين بها واقعين تحت الاضطهاد.

يبدأ الباحث بتعريف لفظ «المسلم» وإثبات انطباق هذا التعريف على أتباع القساوسة:

آريوس في مصر والبلقان ويوسوبياس في آسيا الوسطى ويولفيلاس في غرب أوروبا وشمال إفريقيا، وكلها مناطق كانت واقعة تحت الحكم الروماني حتى تاريخ الفتوحات الإسلامية، وكلها مجموعات تعرضت للقتل والتعذيب الشديد.

(١) تعريف الثالوث طبقا للموسوعة البريطانية: في العقيدة المسيحية الثالوث المقدس هو اتحاد الأب والابن والروح القدس في إله واحد بثلاثة أشخاص.

ثم يثبت الباحث استمرار وجود تلك المجموعات و عدم اندثارها حتى عهد الفتح الإسلامي برغم تجاهل معظم كتب التاريخ المسيحي لوجودهم ابتداء من منتصف القرن الخامس الميلادي.

ويثبت البحث اهتمام النبي ﷺ الشديد بتحرير تلك المجموعات المؤمنة من نيران العذاب بمجرد تأمين جبهة الجزيرة العربية.

الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع:

أولا: من واقع عمل الباحث في مجال الدعوة للإسلام في أمريكا وأوروبا فإن فكرة جهاد الطلب - أي إزاحة الطواغيت والعقبات التي تحول بين الناس وبين حرية العقيدة- نادرا ما تكون مفحمة للغربيين الذين يناظرون الدعاة أمام جمهورهم، بل كثيرا ما تكون محل غمز ولمز، أما الدفاع عن النفس- إذا ثبت- فيكون مفحما لهم ومقنعا لجمهورهم ولا يرفضه إلا الشذاذ من أمثال أتباع البهائية، وهي حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة ١٢٦٠هـ ١٤٨٨م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي، ومن مبادئها تحريم الجهاد وحمل السلاح[1].

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي للنشر، الرياض سنة ٢٠٠٣ صـ٤٠٩.

ثانيًا: ارتفعت في الآونة الأخيرة أصوات عديدة من مسيحيي مصر تدعي أنهم أصحاب البلد الأصليين وأن المسلمين المصريين أصلهم هم الوافدون مع الفتح العربي من الجزيرة العربية[١]، و يثبت هذا البحث أن أجداد مسلمي مصر هم الآريوسيون الموحدون الذين كانوا يمثلون فئة كبيرة من الشعب المصري قبل الفتح.

ثالثا: ندرة المصادر الموجودة والبحوث في موضوع تاريخ الأريسيين في مصر وقت الفتح باستثناء ذكرهم سريعا في بعض الكتب مثل تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، وعقائد النصارى الموحدين لحسني يوسف الأطير، وفتح العرب للمغرب للدكتور حسين مؤنس.

(١) مثل رجل الأعمال المسيحي المصري الشهير نجيب ساويرس في حواره مع لميس الحديدي مقدمة برنامج مانع و ممنوع على شاشة التليفزيون المصري خلال شهر رمضان الكريم عام ١٤٢٨ ، إذ قال ردا على سؤال إن كان يشعر بأنه مواطن من الدرجة الثانية لكونه قبطي (و هي تسمية تطلق مجازا على المسيحين المصريين): « نحن أصحاب البلد الأصليين».
وكذلك القمص المصري زكريا بطرس على برنامجه في قناة الحياة و المنشور على موقعه على الإنترنت www.islam-christianity.net في رده على مطالبة عمرو أديب بسحب الجنسية منه ردا على تهجمه على الإسلام و إثارته للفتنة الطائفية إذ قال: «أنا الجنسية المصرية في دمي لأني مصري من أصل فرعوني أما أنت روح شوف جدك مين يا عربي».

أقباط موحدون

حاول المؤمنون بالثالوث المقدس من المسيحيين بمختلف طوائفهم إبعاد الآريوسية إلى دائرة النسيان ولكنها كانت دائما تجد من يهتم بها عبر الزمان بالرغم من محاولة تشويهها ووصفها بالهرطقة تارة وبالإلحاد تارة أخرى وربما بالصفتين معا في أحيان كثيرة.

ولكن الباحث في التاريخ المتعلم من أحداثه وصراعاته، يعلم جيدا أن المنتصر في الصراع هو الذي يكتب التاريخ، وبالتالي يسجل المهزوم على أنه شرير أو زنديق أو معتدٍ أو ملحد أو صاحب هرطقة، ويسجل المنتصر نفسه على أنه صاحب الصراط المستقيم، المحق الوحيد، حامي بيضة الدين والعدل والحرية.

وقد سجل التاريخ انتصار المثلثة على النصارى الموحدين أو الملقبين بالآريوسيين فوصفوا أنفسهم بالأورثوذوكس[1] و وصفوا خصومهم من النصارى الموحدين بالهراطقة ولكنهم لم ينجحوا في محو ذكرهم

(١) أورثوذوكس كلمة معناها المتمسكون بالعقيدة السليمة والممارسات الدينية الصحيحة طبقا لتعاليم سلطات دينية. معجم وبستر الطبعة العالمية الثالثة، الولايات المتحدة، سنة٢٠٠٢ صـ٤٣٢.

أو محو عقيدتهم نهائيا، فقد بعث ذكرهم من جديد في القرن السادس عشر بعد إعدام عالم الطب والجغرافيا مايكل سرفيتوس حرقا أمام أعين الجموع التي جاءت لمدينة جنيف لمشاهدة تنفيذ حكم الإعدام يوم ٢٧ أكتوبر عام ١٥٥٣م في ذلك الرجل الذي دوخ الكنيسة بكتاباته التي أنكر فيها التثليث وتأليه السيد المسيح عليه السلام مناديا بالتوحيد.

هذا الرجل الذي أظهر شجاعة غير مسبوقة ولم يتنازل عن معتقداته أثناء محاكمته ورفض فرصة تخفيف حكم الإعدام في نظير إعلان توبته ورجوعه عن عقيدته التي ظل يدافع عنها محرجا رجال الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية وعلى رأسهم كالفن فوصف عقيدة التثليث بالوحش المفترس وبأنها حلم من أحلام القديس أوجوستين وأنها من اختراع الشيطان بل وصف المؤمنين بها بالملاحدة[١].

فتسابقت حكومات أوروبا على نيل شرف إعدامه على أراضيها، فأرسلت سلطات فيينا تشكر سلطات جنيف على النجاح في القبض

(١) آرثر فوكس: كتاب مايكل سرفيتوس، لندن ١٩١٣ صـ٢٤- ٣٠.

عليهـا وتتـوسل إليـهـا أن ترسله إليـهـا لينال جـزاءه ويعـدم على أراضيها[١] .

و كانت المفاجأة الكبرى عندما أعدم حرقا وكتابه «أخطاء الثالوث» حول وسطه فإذا به يموت دون أن تأكله النار أو حتى تأتي على كتابه على الرغم من محـاولاتهم العديدة لتحـويله وكتابه إلى رماد طبـقا لحكم المحكمة وخلال مائة عام كانت هناك أكثر من خمسمائة جماعة من الموحـدين المعـروفين بال Unitarians في أوروبا، خـرج منهم إسحق نيوتن مكتـشف الجاذبية الأرضية وجـوزيف بريستلي مكتشف الأوكسجين وآخرون[٢]، و لكنهم اضطهدوا كمـا اضطهد أسلافهم قـبل ذلك بقرون وذبحـوا كالخـراف لأنهم تمسكوا بإنكار الثـالوث، يكفي ذكر مذبـحة واحدة قتل فيـها ثمانية آلاف موحـد في بريطانيا على رأسهم جون بيدل الملقب بأبي التوحيد-The Father of Unitarianism في بريطانيا عام ١٦٦٢[٣]، مما أدى لهروب الكثـيرين منهم

(١) المرجع السابق صـ٢٨.

(٢) ريتشارد ويستفال: كتاب حياة إسحق نيوتن، كمبريدج ١٩٩٣ صـــ١٢٨.

(٣) عطاء الرحيم: عيسى نبي الإسلام، لندن ١٩٧٧ صـ١٤٩.

إلى المناطق الأوروبية الواقعة تحت الحكم العثماني حيث مارسوا شعائرهم بحرية وأسلم الكثيرون منهم لما رأوا في الإسلام استكمالا للمسيرة الإيمانية التي بدأها أسلافهم ومن أشهرهم الألماني آدام نيوزر[١] Adam Neuser ويُقَدِّر دافنبورت في كتابه «عذرا محمد والقرآن» عدد أتباع مذهب التوحيد Unitarian ism الذين قتلوا عبر التاريخ باثني عشر مليونًا[٢]، أما الذين اجتذبتهم الهجرة إلى أمريكا، البلد التي ضمن دستورها حرية الاعتقاد للمستوطنين الجدد[٣]، فقد ازدهروا ازدهارا لم يكونوا يحلمون به وخرج منهم أربعة من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية هم الرئيس الثاني جون آدامز والسادس ابنه جون كوينسي آدامز والثالث عشر ميلاد فيلمور والسابع والعشرين ويليام هاورد تافت[٤].

(١) ريلاند: أبحاث عن المحمديين صـ٢١٥ باقتباس من عطاء الرحيم صـ١٢١.

(٢) سليمان إبراهيم: أصل الكتاب المقدس ونشأته، كيب تاون ٢٠٠٨ صـ٤٤.

(٣) بالرغم من الاضطهاد الديني للعبيد الأفارقة و إجبارهم على اعتناق المسيحية (د. عبدالله حكيم كويك).

(٤) فرانكلين ستاينر: عقائد رؤساؤنا الدينية، ميلواكي ١٩٣٦، الفصل الثالث بعنوان (الرؤساء الموحدون).

وخلال هذا البــحث سنكشف الغطاء عن جذور النصــارى الموحدين قبل ظهور خاتم الرسل وعلاقــتهم بالإسلام، سواء في وقت النبي ﷺ أو بعد وفاته.

فاضل سليمان

❀❀❀

الفصل الأول

تحرير معنى [المسلم]

لغويا ذكر الزبيدي في تاج العروس

«السلم بفتح السين واللام هو الاستسلام والاستخذاء والانقياد، والسلم بفتح السين وسكون اللام مثل السلامة والإسلام والمراد بالسلام هنا الاستسلام والانقياد ويجوز يكون من التسليم ومنه قول الله تعالى: «ادخلوا في السلم كافة» أي في الإسلام.»(١).

بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخيربالذات من مصدر أسلمت الشيء إلى فلان إذا أخرجته إليه وهو عين المعنى المراد بهذا اللفظ، حيث يلزم الله تعالى عباده أن يسلموا أنفسهم ظاهرا وباطنا لسلطانه الأعلى(٢).

وجاء في لسان العرب لابن منظور: الإسلام ومعناه إسلام الوجه لله سبحانه وتعالى وعندما يقال فلان مسلم ففيه قولان أحدهما هو المستسلم لأمر الله والثاني هو المخلص لله في العبادة من قلبه(٣).

(١) انظر: الزبيدي في (تاج العروس) طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٩٩٤. جـ١٦ صـ٣٤٤.

(٢) د. عبد الستار فتح الله سعيد: المنهاج القرآني في التشريع، القاهرة ١٩٩٢ صـ١٢٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب لدار الحديث ٢٠٠٣ ج٤ صـ٦٦٠.

وعرفه الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد بأنه: الإسلام هو دين الله تعالى لعباده في كل العصور لا يتغير منه شيء في العقائد والأخلاق ويتحد كذلك في أصول العبادات والمعاملات[1].

العلاقة بين كلمة «الإسلام» وكلمة «الدين»:

عرف علماء الأمة على مر العصور كلمة الإسلام وكلمة الدين بمعنى واحد إيمانا منهم بترادفهما وبعدم انفصال أي منهما عن الآخر لقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فعندما نقرأ لعالم من علماء الأمة تعبيرا مثل «حماية الدين» أو «نشر الدين» فمن المفهوم أنه يقصد الإسلام.

ففسر هذه الآية ابن كثير رحمه الله بأنها:

«إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذي سدَّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ فمن لقي الله بعد بعثه محمد ﷺ بدين علي غير شريعته، فليس بمتقبل كما قال تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»[2].

(١) د. عبد الستار فتح الله سعيد: المنهاج القرآني في التشريع، القاهرة ١٩٩٢ صـ١٣٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض، سنة ١٩٩٩ صـ٣٠٢.

وفسرها الشيخ حسنين محمد مخلوف رحمه الله قائلا:

«الدين هو الطاعة والانقياد لله، والإسلام: هو الإقرار بالتوحيد مع التصديق والعمل بشريعته تعالى»(١).

وأشهر التعريفات هي ما أوردها د. دراز بقوله:

«الدِّين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات»(٢).

ومما سبق يتضح لنا أن المسلم ليس هو فقط من اتبع شريعة الله التي أنزلها على خاتم أنبيائه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اتبع شرع الله الذي أنزل لعباده على نبي عصره وقد قال تعالى في القرآن الكريم ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ويورد القرآن الكريم على ألسنة الرسل وأتباعهم في كل العصور اسم (الإسلام) وصفا لدينهم و(المسلمين) وصفا لأنفسهم وأقوامهم المؤمنين ومن ذلك:

(١) كلمات القرآن تفسير وبيان، الشيخ حسنين مخلوف، الآية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

(٢) انظر: الدين للدكتور دراز طبعة دار القلم. الكويت صـ٣٣، ٤٧.

ما جاء على لسان نوح عليه الصلاة والسلام مقرا بكونه فرد في الجماعة المسلمة:

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وما جاء على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١].

وبالإسلام يصف القرآن من نجاهم الله من آل لوط:

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٦].

وبالإسلام وصى إبراهيم ويعقوب عليهما السلام بنيهم:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وأبناء يعقوب يصفون أنفسهم بالمسلمين لإيمانهم بالله سبحانه وتعالى واتباعهم دينه ودين آبائه من الأنبياء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم صلوات الله وسلامه:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وجعل موسى عليه الصلاة والسلام التوكل على الله سبحانه وتعالى شرطا للإسلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

ووصف السحرة أنفسهم بعد إيمانهم برب موسى وهارون بالمسلمين:

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]

والإسلام هو الدين الذي دعا إليه سليمان عليه السلام كما هو واضح من خطابه لملكة سبأ وقومها:

﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

وبالإسلام وصفت ملكة سبأ نفسها بعد إتباعها لسليمان عليه الصلاة والسلام:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وبالإسلام وصف حواريي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أنفسهم بعد أن آمنوا بالله تعالى وبرسوله:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] ويعلق صاحب الظلال رحمه الله في تفسيره

لتلك الآيات من سورة المائدة مقارنا أصحاب عيسى وأصحاب محمد عليهما الصلاة والسلام: وهؤلاء مسلمون وهؤلاء مسلمون، وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون[1].

ويشهد الحواريون الله تعالى على إسلامهم ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢، ٥٣].

بل قرر القرآن أنه دين الجن أيضا وليس الإنس فحسب:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤][2].

وبذلك يكون بكاء أبي بكر عند سماعه الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] إنما جاء نتيجة فهم عميق لموقع رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كخاتم رسل الله الذين حملوا دين الإسلام برسالة التوحيد لأهل الأرض جميعا، فبتمام نعمة الله وإكماله الدين

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق سنة ٢٠٠٧ صـ٩٩٧.

(٢) د. عبد الستار فتح الله سعيد: المنهاج القرآني في التشريع، القاهرة ١٩٩٢ صـ١٣٢٤٩.

على صورته الحالية وهي دين الإسلام تصبح مهمة آ خر الأنبياء والرسل جميعا قد انتـهت، لذلك أجاب أبو بكر رضي الله عنه عندما سئل «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قائلا: «هذا نعي رسول الله»(١).

ويشير سيد قطب رحمه الله إلى فكرة الدين الواحد الذي أرسله الله تبارك وتعالى للبشرية بواسطة أنبـياء ورسل عديدين، موكب الرسالات منذ آدم إلى محمد بن عبد الله ﷺ قائلا:

«وإن المؤمن يقف أولا: أمـام إكمال هذا الدين، يسـتعـرض موكب الإيمان، وموكب الرسالات، وموكب الرسل منذ فجر البشرية ومنذ أول رسول -آدم عليه السلام- إلى هذه الرسالة الأخيرة»(٢).

وتأسيســا على ما سبق يتضح جليـا أن من قال» لا إله إلا الله» وأقر بأن عيسى بن مريم بشر وعبد لله ورسوله في الفترة بين الرسولين عيسى ومحـمد عليهـما الصلاة والسـلام هم مسلمو عـصرهم، ويدعم ذلك وصف المولى عـز وجل اليهـود الذين لم يؤمنوا بالمسـيح عليه الصـلاة والسلام بالكفر بينما وصف الذين آمنوا به بالإيمان.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي

(١) حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف ١٩٧٧، صـــ٤٩٣.

(٢) ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق سنة ٢٠٠٧ صـــ٨٣٦.

إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

يقول الطبري مثبتا وصف الإيمان لمن تبعوا المسيح وآمنوا به من بني إسرائيل:

وقوله: «فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة» يقول جل ثناؤه: فآمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى، وكفرت طائفة منهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل(١).

قال النبي ﷺ: **«أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة -لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»**(٢).

يذكر ابن تيمية في فتاواه موضحا أن دين الأنبياء هذا هو الإسلام:

«وهذا الدين هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله دينا غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام»(٣).

❀❀❀

(١) تفسير الطبري، دار التوفيقية بالقاهرة سنة ٢٠٠٤ ج١٥ صـ٩٦.
(٢) صحيح البخاري دار الشعب سنة١٩٥٨ ج ٤ صـ٢٠٣.
(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الرياض سنة ٢٠٠٢ ج ٤ صـ٤٨.

الفصل الثاني

عقائد النصارى الموحدين

مقارنة مع القرآن الكريم

نحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على جماعات النصارى الموحدين بدءًا من الإبيونيين مرورا بأتباع ثيودوتاس ثم بأتباع بولس الشمشاطي وانتهاء بالأريسيين والتركيز عليهم لكونهم الفرقة التي عاصرت الفتح الإسلامي كما سنرى في ما يلي من البحث كما سيتم شرح عقائد تلك الفرق وذكر نبذة عن مؤسسيها في ثنايا البحث.

تمركز الصراع العقائدي حول مسألة الثالوث المقدس ومسألة طبيعة السيد المسيح، وبالرغم من أن بولس نفسه لم ينادِ بألوهية المسيح ولا بعقيدة الثالوث المقدس إلا أن أسلوبه في التعبير والتغييرات التي قام بها[(١)] فتحت الباب لتلك الشبهات ومهدت لها الطريق لكي تصبح عقائد ثابتة في أوروبا[(٢)]، مما جعل بطرس الحواري يحذر من أسلوبه المتفلسف في الكتابة الذي قد يؤدي لضلال العوام:

«كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضا بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضا، متكلما فيها عن هذه الأمور، التي

(١) «اليوم أحلت لي كل الأشياء» رسالة كورنثيوس الأولى إصحاح ٧ آية ١٢ و يعتمد عليها المسيحين في أكل الخنزير و ترك الختان.

(٢) محمد عطاء الرحيم: عيسى رسول الإسلام، لندن ١٩٧٧ صـ٧٠.

فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين، كباقي الكتب أيضا إهلاك أنفسهم.»[١].

وقد احتاجت المسيحية لأكثر من ثلاثة قرون كي تكتمل وتستقر على تعاليم ثابتة[٢] مرت خلالها بصراعات عقائدية مريرة بين أنصار الثالوث المقدس Holy Trinity وأنصار التوحيد الخالص-Dynamic Monarchianism خرج منها المتصرون بوصف الأورثوذوكس وخرج منها المهزومون بوصف الهراطقة.

الإبيونيون:

هي جماعة يمكن وصفها بأتباع المسيحية اليهودية، وذلك لتمسكهم بالتوراة ورفضهم للأناجيل الأربعة وإيمانهم بنسخة عبرية مختلفة وصفها رمسيس عوض بالنسخة الشائهة[٣]، ويقول تولاند أن الإبيونيين عاصروا السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، بل وخرج منهم كل الحواريين ولكنهم بالرغم من ذلك حكم عليهم المسيحيون الأوروبيون الذين تعلموا من بولس الطرسوسي الذي لم يرَ المسيح أبدا في حياته

(١) رسالة بطرس الثانية إصحاح٣ آية ١٥، ١٦.

(٢) جاكوب بوركهارد، عهد قسطنطين العظيم، ١٨٥٢/ طبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٤٩ صـ١٢٥.

(٣) الهرطقة في الغرب، موريس عوض، بيروت ١٩٩٧ صـ٣٦.

بأنهم هراطقة ضلوا عن السبيل فلـم يؤلهوا المسيح ولم يؤمنوا بالثالوث المقدس:

«اتفق مؤرخو الكـنيسة بالإجماع على أن الناصـريين والإبيونيين هم المسيـحيون الأول، أو أنــهم أول من آمن بالمسيح من بين اليـهود الذين كانوا هــم قومه الذيــن عاش ومات بيـنهم، وكانوا هم شـهود أعـماله وخرج منهم كـل الحواريون، وبأخذ مـا سبق في الاعتـبار أقـول كيف أمكن أن يصـبحوا أول الهـراطقة؟ من المعـرض لتكوين صورة خـاطئة ومفـاهيم مغلوطة؟ وكيف أصـبح الأميون الذين آمنوا به بعـد موته من خلال مـواعظ أناس لم يعـرفوه أبدا هم أصـحاب العـقائد والمفـاهيم الصحيحة؟»[1].

واختلف الباحثون في شأن تـسمية الإبيونيين فقال البعض إنهم نسبوا لرجل يدعى إبيون ظهر بعد خراب أورشليم سنة ٧٠م آمن بأن المسيح لم يكن إلها بل إنسانا ولد بالطبيعة من مريم ويوسف وأن الإيمان بلا حفظ ناموس موسى كالختان وحفظ السبت لا يفيد شيئا[2].

(١) الناصريون، جون تولاند ١٧١٨ صـ٧٣.

(٢) عـقـائد النصـارى الموحـدين، حـسني يوسف الأطيـر، دار الأنصـار، القـاهرة (عابدين)، ١٩٨٥ صـ٤٦.

وذكر الأسقف يوسوبياس القيصري أن كتابات إبيون كانت ضمن الكتابات التي ازدهرت في القرن الثاني[١]، ويقول آخرون إنهم لم يسموا على اسم شخص بعينه وإنما يعود أصل تسميتهم للأصل العبري إبيونيم أي الفقراء والمساكين ربما هكذا سموا أنفسهم تبركا بقول معلمهم السيد المسيح» طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات[٢] وربما أن خصومهم أطلقوا عليهم تلك التسمية من باب السخرية من أفكارهم[٣].

وأهم معتقداتهم هو بشرية السيد المسيح ولكن ينسب إليهم خصومهم إنكار الولادة العذرية للمسيح من السيدة مريم وذهب بعضهم إلى أنه جاء من أبوين بشريين هما يوسف والسيدة مريم عليها السلام فجاء عنهم في الدسقولية[٤]:

«و أقوام أخر ظهروا لنا الآن يدعون الإبيونيين الذين يظنون أن ابن الله إنسان ويريدوا أن يقولوا أنه ولد من لذة إنسان ومن اجتماع يوسف ومريم»[٥].

(١) يوسوبياس، تاريخ الكنيسة تعريب مرقص داود، ك٥: ف ٢٧.

(٢) متى ص٥: ٣.

(٣) أسد رستم، كنيسة الله مدينة أنطاكية العظمى، ج١ صـ٣٢، متى المسكين: التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي ص ٨٩.

(٤) الدسقولية أو تعاليم الرسل تعتبر أهم الكتب في الكنيسة بعد الكتاب المقدس.

(٥) الدسقولية تحقيق سليمان قلادة فصل ٣١/ ٢.

بشرية السيد المسيح في القرآن الكريم

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

يقول القرطبي موضحا عقيدة المسلمين في مسألة بشرية كلا من السيد المسيح وأمه عليهما السلام:

«كانا يأكلان الطعام» أي أنه مولود مربوب، ومن ولدته النساء وكان يأكل الطعام، مخلوق محدث كسائر المخلوقين، ولم يدفع هذا أحد منهم، فمتى يصلح المربوب لأن يكون ربا؟! وقولهم: كان يأكل بناسوته لا بلاهوته فهذا منهم مصير إلى الاختلاط، ولا يتصور اختلاط إله بغير إله، ولو جاز اختلاط القديم بالمحدث لجاز أن يصير القديم محدثا، ولو صح هذا في حق عيسى لصح في حق غيره حتى يقال: اللاهوت مخالط لكل محدث، وقال بعض المفسرين في قوله: «كانا يأكلان الطعام» إنه كناية عن الغائط والبول، وفي هذا دلالة على أنهما بشران[1].

نلحظ تأكيد القرطبي لبشرية السيد المسيح بإشارته إلى أن التعبير القرآني: «كانا يأكلان الطعام» هو تعبير عن الحاجة للغائط والبول، تماما كما كان الإبيونين يقولون بأن المسيح ليس إلا بشرا عاديا ككل البشر.

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث ١٩٩٠ صـ٢٢٤٧.

كما أن الإبيونيون كان لهم موقف متشدد من بولس، فاعتبروه مرتدا عن الناموس مخربا للعقيدة الحقة، وعن هذا الموقف يتحدث إيرانيوس أحد أهم أساقفة القرن الثاني:

«والذين يدعون باسم الإبيونيين، يوافقون على أن الله هو الذي خلق العالم، ولكن مبادئهم عن الرب هي مثل كرنثوس وكربوكراست وهم يستخدمون إنجيل متى فقط ويرفضون بولس الرسول ويقولون عنه أنه مرتد عن الناموس، يحفظون الختان وكل العوائد المذكورة في الشريعة، فهم يهود في حياتهم ويبجلون أورشليم لأنها بيت الله»[1].

بمقارنة موقف الإبيونيين من شاؤل الطرسوسي المسمى ببولس الرسول مع تحذيرات القرآن في سورة المائدة من مخربي العقيدة الصحيحة في طبيعة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام مما أدى إلى ضلال أهل الكتاب نجد التطابق الشديد إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

يقول ابن كثير مسميا إياهم بشيوخ الضلال:

«قال» يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق «أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى

(١) إيرانيوس من كتابه ضد الهرطقات نقلا عن متى المسكين، التقليد و أهميته في الإيمان المسيحي صـ٩٢.

تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما» وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل «أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال»[١].

نلاحظ ربط ابن كثير مغالاة أهل الكتاب في تأليه نبيهم بتوجيهات شيوخهم الذين سماهم شيوخ الضلال ممن ضل قديما، تماما كماربط الإبيونيون سبب ضلال المسيحيين بتعاليم شاؤل الطرسوسي الذي شنوا عليه حملة عنيفة معتبرينه مرتدا ومخربا للعقيدة.

يذكر الدكتور هيام ماكوبي - الباحث في التاريخ اليهودي المسيحي بجامعة ليوبيك أكبر مراكز أوروبا في الأبحاث اليهودية:

«إن بولس، وليس المسيح، هو مؤسس المسيحية كدين جديد مستقل عن كلٍ من اليهودية التقليدية والتنوع العقدى للنصرانية اليهودية، وأن هذا الدين الجديد قد نسخ التوراة واعتبرها شريعة لها صلاحية مؤقتة. إن الأسطورة التي يتمركز حولها الدين الجديد أصبحت تبشر بوفاة الكائن الإلهى. إن الإيمان بهذه التضحية والمشاركة الأسطورية فى وفاة الإله كونّت أو شكلّت الطريق الوحيد للخلاص... لم يكن لدى

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض، سنة ١٩٩٩ صـ٥٦٨.

المسيح نفسه أى فكرة عن ذلك، وأنه سيكون شيء غريب بل وصدمة إذا عرف الدور الذي كلّفه به بولس وذلك باعتباره الإله المُعذّب[1].

نلحظ اتهام ماكوبي لبولس بأنه مؤسس المسيحية كديانة جديدة لها عقائد جديدة تدور حول تأليه السيد المسيح وعقيدة الفداء.

أتباع ثيودوتاس

جاء ثيودوتاس إلى روما عام ١٩٠م ونذر نفسه لنشر عقيدة التوحيد الخالص وأيد نظرياته حول بشرية المسيح بآيات من الكتاب المقدس تشير إلى ذلك[2]، وأقر بالولادة العذرية للسيد المسيح عليه السلام إلى أن قام البابا فيكتور بعزله عام ١٩٩م[3].

إشارات القرآن الكريم للولادة العذرية للسيد المسيح من السيدة مريم عليهما السلام:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ

(١) ماكوبي: صانع الخرافة-بولس و اختراع المسيحية، سان فرانسيكو ١٩٨٦ صـ١٥.

(٢) إنجيل يوحنا إص١٤ آية ٢٨ «الأب أعظم مني» و«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا» يوحنا إص٥ آية ٣٠، «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب» مرقص إص١٣ آية ٣٢، «أن لي أشياء كثيرة أتكلم واحكم بها من نحوكم. لكن الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم» يوحنا إص٨ آية ٢٦.

(٣) انظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ١٧٧.

فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

يذكر الإمام الطبري في تفسير هذه الآية قدرة الله على أن يهب ما يشاء لمن يشاء:

«القول في تأويل قوله تعالى» قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون» يعني بذلك جل ثناؤه: قالت مريم - إذ قالت لها الملائكة: إن الله يبشرك بكلمة منه -: رب أنى يكون لي ولد: من أي وجه يكون لي ولد؟ أمن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه؟ أو تبتدئ في خلقه من غير بعل ولا فحل، ومن غير أن يمسني بشر؟ فقال الله لها؛ «كذلك الله يخلق ما يشاء» يعني: هكذا يخلق الله منك ولدا لك من غير أن يمسك بشر، فيجعله آية للناس وعبره، فإنه يخلق ما يشاء، ويصنع ما يريد، فيعطي الولد من شاء من غير فحل ومن فحل، ويحرم ذلك من يشاء من النساء وإن كانت ذات بعل، لأنه لا يتعذر عليه خلق شيء أراد خلقه، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئا ما أراد، فيقول له كن فيكون ما شاء مما يشاء، وكيف شاء»(١).

(١) تفسير الطبري، دار التوفيقية بالقاهرة سنة ٢٠٠٤ ج٣ صـ٢٩٨.

وبذلك الكلام الرائع بشأن قدرة الله على إعطاء الولد لم ليس لها زوج وحرمان من لها زوج نرى تطابق رؤية النصارى الموحدون في مسألة الولادة العذرية للسيد المسيح عليه السلام مع الرؤية القرآنية في هذه المسألة.

أتباع بولس الشمشاطي:

بعد القضاء على حركات التوحيد في الغرب من أتباع ثيودوتاس ومن بعده أرطمون[1] ظهر بولس الشمشاطي ليبعثها من جديد في الشرق عام ٢٦٠م، كان بولس الشمشاطي أسقفا على كنيسة أنطاكية أحد أهم مدن الإقليم الشرقي والتي كانت واقعة تحت حكم المملكة العربية زنوبيا ملكة تدمر، سار على خطى من سبقوه من دعاة التوحيد، فنادى بإنسانية المسيح ورفض الثالوث وأقر بالولادة العذرية للمسيح من السيدة مريم العذراء، عقدت ثلاثة مجامع في أنطاكية لمناقشة معتقداته بين ٢٦٤م و٢٦٩م أدين في ثالثهما وعوقب بالحرم والعزل وصدرت بذلك خطابات لروما والإسكندرية تصفه بالمتغطرس والتافه والمنمق لكلامه والطماع ومنعدم الأخلاق. ومع ذلك احتفظ بمنصبه كأسقف أنطاكية بفضل الدعم القوي من الملكة زنوبيا، ولم يقتصر دوره على القيادة الروحية وإنما كان له سلطة كبيرة في المجتمع المدني. ولكن

(١) ظهر بعد ثيودوتاس في روما و نادى بالتوحيد الخالص ولكنه واجه هو وأتباعه الحرم والاضطهاد، كورتز: تاريخ الكنيسة صـ١٧٨.

بهزيمة الملكة زنوبيا أمام الإمبراطور الروماني أورليان، خسر بولس الشمشاطي كرسيه وخسر كل مباني الكنيسة بعد استجابة الإمبراطور الوثني لمطالب القساوسة المناوئين له لكونهم معترف بهم من قبل الكنيسة في روما[(١)].

ويعترف المؤرخون أن مبادئ بولس الشمشاطي لم تمت بهزيمته ولكنها استمرت بعده يذكر بروفيسور كوسولاس:

«وطرد بولس (الشمشاطي) لاحقا ولكن أفكاره لم تمت، ولم يكن سهلا توفيق العقائد المسيحية مع المنطق الذي فسر به اليونانيون ما يمكن قبوله من العقائد»[(٢)].

ويعتبر الأطير عقائد بولس الشمشاطي أنقى اتجاهات التوحيد الصحيح في عقائد النصارى بعد الإبيونيين، فيقول:

«ويمثل بولس هذا أنقى اتجاهات التوحيد الصحيح في عقائد النصرانية بعد الإبيونيين، فكان واحدا من أعتى المنكرين لدعوى تأليه المسيح، وذهب إلى أنه مجرد إنسان تمكن ببره واستقامته أن يظفر بالخلاص وسمو المنزلة»[(٣)].

(١) تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ١٨٢.

(٢) حياة و زمن قسطنطين العظيم، ديمتريوس كوسولاس، الطبعة الثانية ميريلاند الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٩٧ صـ٣٤٥.

(٣) عقائد النصارى الموحدين، حسني يوسف الأطير، دار الأنصار، القاهرة (عابدين)، ١٩٨٥ صـ٥٥.

تعتبر أكبر مشكلة التعرف على تفاصيل عقيدة بولس الشمشاطي - شأنه في ذلك شأن باقي النصارى الموحدين -هو عدم بقاء أي كتابات من إنتاجهم الفكري نتيجة تعرضها للإتلاف مما يجعل المصدر الوحيد للتعرف عليها هو كتابات خصومهم عنهم، يقول أسد رستم في هذا الشأن: «مواعظ بولس وآرائه في العقيدة قد ضاعت ولم يبق منها شيء سوى ما جاء في ردود أخصامه عليه»[١].

تتلخص عقيدة بولس الشمشاطي في أن المسيح ليس ابنا لله، بل أن الله لم يلد ولم يولد، ونورد في هذا الشأن نصا من كتاب ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين المتوفى أواخر القرن العاشر وابن العبري في تاريخ مختصر الدول:

«وكان لا يقبل شيئا من الكتب (يقصد الإنجيل) ولا يقول أن المسيح ابن الله ولا أنه نزل من السماء، وتجسد من مريم العذراء بل وكان يجدف تجديفا كثيرا، ويظهر أنه -أي المسيح - من جملتنا»[٢].

لا غرابة في اعتبار ساويرس الإيمان بأن المسيح بشرا تجديفا، إذ أنه ينتمي لطائفة الأورثوذوكس المؤمنين بالتثليث.

(١) د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله، أنطاكية العظمى جـ١ صـ١٢.

(٢) تاريخ البطاركة: السيرة السادسة -العدد ١٥.

بينما يعتبره ابن العبري مبتدعا:

«وفي هذا الزمان ظهر من المبتدعة بولس الشمشاطي، وكان يقول: إن جميع معلومات الله تعالى إرادية، وليس له معلول ذاتي بتة، ولذلك لم يلد ولم يولد، ولهذا لم يكن المسيح «كلمة الله» ولا أيضا ولد من عذراء كما ورد لنا في ظاهر المذهب وإنما حصل له الكمال بالاجتهاد فكل من تعاطى رياضته نال درجته»[١].

الآريوسية Arianism:

ربطت موسوعة أكسفورد لمعجم اللغة الإنجليزية الآريوسية Arian-ism بإنكار ألوهية السيد المسيح عليه الصلاة والسلام:

«هي البدعة الرئيسية (في المسيحية) التي تنكر ألوهية المسيح، وسميت على اسم مبتدعها آريوس. الآريوسية تدعي أن ابن الله[٢] ليس خالدا وإنما هو مخلوق من عدم بواسطة الأب[٣] كما خلق العالم، وعلى ذلك فإن المسيح ليس مماثلا ولا شريكا في الأزلية مع الخالق ولا هو من نفس المادة، وقد أدينت تلك البدعة في مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية، وبالرغم من طرد تلك البدعة من الإمبراطورية

(١) تاريخ مختصر الدول -المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨ صـ٧٦.

(٢) الموسوعة تقصد المسيح طبقا للعقيدة المسيحية.

(٣) الموسوعة تقصد الخالق طبقا للعقيدة المسيحية.

(الرومانيـة) فإنها ظلـت موجودة بين القـبائل الجرمـانية[١] حتى تحول الفرنجة[٢] للكاثوليكية عام ٤٩٦ ميلادية[٣].

▭▭ تعريف الموسوعة الكاثوليكية للآريوسية: تحت باب انقسامات المسيحية وأسبابه:

«.... من بعد مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ ميلادية تلقت الآريوسية دفعة جديدة للحياة بين القبائل الشمالية، القوط واللومبارد والبورجونديون[٤] والواندال[٥] نتيجة لمواعظ يولفيلاس[٦]، القس ذو

(١) قبائل تاريخية نشأت في شمال أوروبا قبل العصر البيزنطي و يعتبر الجرمانيون هم أجداد الشعوب الإسكندنافية و الهولنديون و اللألمان و الإنجليز.

(٢) شعوب جرمانية غربية.

(1) The principal heresy denying the divinity of Christ ،named after its author Arius. Arianism maintained that the Son of God was not eternal but was created by the Father from nothing as an instrument for the creation of the world; the Son was therefore not coeternal with the Father ،nor of the same substance. The heresy was condemned by the council of Nicaea in AD 325 and again at Constantinople in AD 381، but though driven from the empire it retained a foothold among Teutonic tribes until the conversion of the Franks to Catholicism (AD 496). The Oxford Encyclopaedic English Dictionary ،١٩٧٠ ،London.

(٤) القوط و اللومبارد و البورجونديون قبائل جرمانية استوطنت غرب أوروبا.

(٥) الوندال قبائل جرمانية استوطنت شمال إفريقيا.

(٦) يولفيلاس هو أهم من نشر العقيدة الأريوسية في أوروبا وسط القبائل الجرمانية.

العقيدة الآريوسية الذي أرسل من القسطنطينية سنة ٣٤١ ميلادية لتنصير القوط الغربيين، ومن القوط الغربيين انتشرت الآريوسية بين القبائل المنبثقة وأصبحت عقيدتهم الوطنية حتى سنة ٥٨١ ميلادية بتحول ملكهم ريكارد وبالتالي تحول القوط الأسبان عنها....»[١].

ويصف الأريوسيون الكاثوليك الجدد ومركزهم في إنجلترا الآريوسية بأنها حملة ضد ما وصفوه ببدعة التثليث:

«الأريوسية هي حركة بدأت في القرن الرابع الميلادي بالتحديد وقامت على تعاليم أسقف ليبي (المولد) اسمه آريوس ولد عام ٢٥٠ م ومات في عام ٣٣٦ م والذي قام بحملة كبيرة ضد بدعة التثليث[٢].

(1) Catholic Encyclopaedia ،?Divisions of Christendom and their causes?: ...From the time of the First Council of Constantinople (381) Arianism received a new lease of life among the northern tribes ،the Goths، Lombards ،Burgundians ،Vandals ،etc. This was due to the preaching of Ulfilas- ،bishop of Arian views ،who was sent from Constantinople in 341 to evangelize the Visigoths. From the Visigoths it spread to the kindred tribes and became their national religion ،until 586 ،with the conversion of Reccared ،their king ،and of the Spanish Visigoths...

(٢) التثليث هو الإيمان بعقيدة الثالوث المقدس وهو اتحاد الأب والابن ولروح القدس في إله واحد بثلاثة أشخاص.

وقد تعلم آريوس على يد لوسيان أسقف أنطاكية الذي هاجم بدعة التثليث وأنشأ مدرسة يعلم فيها لتلاميذه عقيدة التوحيد(١).

آريوس:

طبقا للموسوعة البريطانية آريوس هو قس مسيحي بالإسكندرية- مصر- ولد في ليبيا عام ٢٥٠ م ومات بالقسطنطينية (إسطنبول حاليا) عام ٣٣٦ م كانت تعاليمه هي بداية للعقيدة المسماة بالآريوسية والتي أكدت على الطبيعة المحدودة للمسيح بأنه مخلوق، وقد أدانت الكنيسة تلك العقيدة واعتبرتها بدعة كبيرة(٢).

يصف البروفيسور ديميتريوس كوسولاس شخصية آريوس الجذابة قائلا:

«عام٣١٣م أصبح آريوس قسا في إحدى الكنائس المحلية بالإسكندرية بمنطقة تسمى بوكلى، وكانت بلاغته وجلسته الوقورة وزهده في الحياة قد بدأت في اجتذاب أتباع كثيرين، كان طويلا رشيق القامة ذو نظرات جذابة، يرتدي دائما رداء أبيضا بدون أكمام.»(٣).

(1) www.arian-catholic.org.

(2) Encyclopedia Britannica.

(٣) حياة و زمن قسطنطين العظيم، ديمتريوس كوسولاس، الطبعة الثانية ميريلاند الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٩٧ صـ٣٤٦.

وهو أحد خريجي مدرسة أنطاكيـة الظاهرية المتمسكة بحرفية التنزيل والتي أسسـها الشـهيد «لوسـيان»[١] - هكذا أطلقت عليه الموسـوعة البريطانية- المولود عام ٢٤٠ م في أنطاكية وأسس مدرسته التي رفضت البدع والإضافات للعـقيدة فاكتسب عداء الكنيسـة البولوسية[٢] وسجن وعذب عـدة مرات حتى قـتل عام ٣١٢ م في مدينة نـيكوميديا بآسـيا الصغرى (إزميت حاليا)[٣].

ويؤرخ بروفيسور كوسولاس عناد آريوس الشديد وقوته في الصدع برأيه قائلا:

«لم يكن آريوس من نوع الرجـال الذين يمكن إسكاتـهم بسـهـولة، كمـا لم يكن وحده الذي يؤمن بـهذه المعتـقدات، بل كـان كثـير من الأساقفة والكهنة في الشرق يفضلون تعاليمه، وأصبح أحد زملائه في مـدرسة لوسـيان وهـو يوسوبيـاس أسقـفـا لنيكومـيديا، عـاصمـة الإمبراطورية»[٤].

(١) باعث مبادئ التوحيد التي نادى بها بولس الشمشاطي بأنطاكية، و ترأس مدرسة لاهوتية نادت بالتوحيد تتلمذ فيها آريوس و يوسوبيـاس الذي صار أسقف نيكوميديا فيما بعد، أعدم لوسـيان بسبب آرائه عام ٣١٢م، ديمتريوس كوسولاس صـ٣٤٥.

(٢) نسبة لبولس مؤسس المسيحية الحديثة و الذي يطلق عليه المسيحيين بولس الرسول.

(٣) الموسوعة البريطانية.

(٤) حياة وزمن قسطنطين العظيم، ديمتريوس كوسولاس، الطبعة الثانـية ميريلاند الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٩٧ صـ٣٤٩.

بالرغم من إبعاد إسكندر أسقف الإسكندرية عام ٣٢٠ م لآريوس متهما إياه بالهرطقة، استطاع الأخير أن يكسب تأييد الكثير من الأصوليين وقادة الكنيسة في العالم مثل:

- أوكستيوس أسقف ميلانو الأريوسي Auxentius Arian Bishop of Milan.
- يوسوبياس أسقف نيكوميديا الأريوسي-Eusebius Arian Bishop Nicomedia.
- يولفيلاس أسقف داشيا الأريوسي Ulfilas Arian Bishop of Dacia
- ميليتيوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط) Meletius Arian Bishop of Lycopolis.

لدرجة جعلت بعض المؤرخين يقرون بأن النصارى الأريوسيين - الموحدين- كانوا أكثر عددا من المسيحيين المسمين بالأورثوذوكس (اسم أطلق على كل المثلثة في العالم - قبل الانقسام لكاثوليك وأورثوذوكس بعد الاختلاف حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام في مجمع خلقدونيا عام ٤٥١ م - ومركزهم روما)[1].

(1) www.arian-catholic.org.

يذكر الأسقف هانسون تفاصيل أكبر عن آريوس من حيث تعاليمه وسيرته الذاتية فيقول:

«في عام ٣١٨م كان آريوس هو الكاهن المسئول عن كنيسة منطقة بوكلى بالإسكندرية، والذي قام بانتقاد المنطق المسيحي الذي كان ينشره رئيسه الأسقف إسكندر أسقف الأسكندرية»[١].

كلمة «أريوسي» Arian ظلت تستعمل للإشارة للكيان الرئيسي للمعارضين (لمجمع نيقية) والمعروفين عند العلماء بالهومويانس Homoi-ans، وهم محافظون بقوة، حاولوا دائما تجنب لغة النقاش الفلسفي[٢].

وليس كل من تمسك بالتوحيد وعارض مجمع نيقية واعتبر أريوسياً هو من أتباع أريوس، فهناك أتباع يونوميوس Eunomius والمعروفون في القرن الرابع باليونوميانس Eunomians أو الأنهومويانس Anhomoians وهم الذين استمد منهم الأريسيون الجدد Neo- Arians تعاليمهم.

وقد أعلنوا عقيدتهم صريحة، أنهم يرون عدم تشابه طبيعة ومنزلة الأب والابن، أي أن الابن لا يشارك الأب في الألوهية، وبالنسبة للموحد الذي يدرك معنى الألوهية لا شيء يمكنه ذلك (مشاركة الأب في الألوهية) إذا فالابن يجب أن يكون مخلوقا[٣].

(١) الأسقف هانسون: البحث عن عقيدة الألوهية في المسيحية، أدنبره ١٩٨٨ صـ٣.

(٢) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـ٢٧.

(٣) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـ٣١.

وفي مسألة الاسم يبدي وايلز رأيه قائلا:

«كان من الممكن أن يفضلوا اسما آخر لهم مثل شارحي الإنجيل أو المحافظين على التراث السليم»[(١)].

تعاليم آريوس:

يقر المسيحيون المؤمنون بالثالوث المقدس بأن الأريوسية هي امتداد لتعاليم بولس الشمشاطي وتعاليم الإبيونيين من قبله[(٢)] ويعتقد أن معظم كتب آريوس قد أحرقت طبقا لأوامر الإمبراطور قسطنطين حيث أصدر أمرا إمبراطوريا ينص على حرق أعماله وإعدام كل من وجدت عنده:

من المنتصر العظيم قسطنطين أوغسطس إلى الأساقفة وعامة الشعب:

حيث إن آريوس هو مقلد الأشرار، فمن العدل أن يقاسي من الخزي مثلهم، بورفيريوس[(٣)] الذي كان عدوا لكل من يتقي الله ألف كتابا ضد تعاليم ديننا ولم يجد الجزاء الذي يستحق فمن هذا الوقت وهو مهان وأصبحت سمعته سيئة ودمرت كتاباته الشريرة، وبنفس الوتيرة يبدو أن آريوس ومن هم على شاكلته، يجب أن يطلق عليهم بورفيريون (أتباع بورفيريوس) حتى تكون أسماؤهم على اسم من

(١) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـ٢٨.
(٢) منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية صـ١٣٩.
(٣) فيلسوف يوناني.

قلدوا. بالإضافة لذلك فإن وجد أي شئ كتبه آريوس يجب أن يلقى في النيران بحيث لا يقتصر الأمر على طمس تعاليمه الشريرة بحسب ولكن إزالة كل أثر لها حتى لا يتذكره أحد. وطبقا لهذا المرسوم العام فإنه في حالة العثور على أي من كتاباته مخبأة ولم تسلم فورا لإتلافها حرقا فإن الإعدام هو عقوبة من يكتشف تلبسه بهذه الجريمة، والله شاهد عليكم إخوتي الأحبة»[١].

ولكن المؤكد هو عدم اهتمام أي من تلاميذه بنشر كتبه[٢] ويعتمد بالدرجة الأولى في معرفة الخطوط العريضة لتعاليمه على منظومة Thalia أو الوليمة الشعرية التي حوت الكثير من تعاليمه ولكنها لم تخلُ من الجدل حول مصداقية نسبتها إلى آريوس بسبب العثور على نسختين فقط منها وكلاهما لدى أثناسيوس، ألد خصومه يقول د. هانسون بهذا الصدد:

«إن أصعب ما يواجهنا، أن الوليمة Thalia وهي المصدر الوحيد لفكر آريوس العقائدي هي مجموعة عبارات لا تخلوا من كونها من تأليف أثناسيوس الذي لن يتورع عن إساءة تقديم مقولات آريوس»[٣].

(١) فردريك شلوتهيس، المجامع المكونية من نيقية إلى خلقدونية، برلين ١٩٠٨ صـ١، ٢.
(٢) الأسقف هانسون، البحث عن عقيدة الألوهية في المسيحية، ، أدنبره ١٩٨٨صـ١٢٣.
(٣) المرجع السابق صـ١٠.

وكذلك يعتمد على كتابات خصومه عنه وبعض خطاباته لزميله الأسقف يوسوبياس بالقسطنطينية وإسكندر أسقف الأسكندرية كمرجع رئيسي لتعاليمه كما وصفه أثناسيوس عام ٣١٨م[١].

وحيث إن الخطاب في حوزة خصومه من المثلثة أمثال إسكندر وأثناسيوس فلا يمكن الوثوق بأن ما فيه لم يخضع للتحريف طبقا لهواهم، بل أنه طبقا لما ورد في هذا الخطاب من كون المسيح مخلوق ولكنه الابن المولود لله begotten son وهو التعبير الذي أجمع علماء الإنجيل على أن أول من أضافه هو القديس جيروم مترجم الكتاب المقدس من اليونانية للاتينية عام ٣٩٩م (أي بعد كتابة هذا الخطاب بأكثر من ٨٠ سنة) للقضاء على البدعة الأريوسية[٢].

▭▭ مناظرات آريوس:

وقد ناظر آريوس القساوسة المؤيدين لعقيدة التثليث وكان مما قال:

«لو افترضنا أن المسيح هو في الحقيقة ابن الله لكان معنى ذلك أن الله كان موجودا قبله، وبالتالي فقد كان هناك زمن لم يكن الابن موجودا خلاله، إذا فجوهره ومادته لم تكن موجودة في وقت ما، وطالما أن الإله في جوهره موجود من الأزل وإلى الأبد، إذا فالمسيح لا يمكن أن يكون من نفس جوهر الله»[٣].

(١) المرجع السابق صـ١٢٦.

(٢) فتوى د. بول داف رئيس قسم الأديان بجامعة جورج واشنطن (ملحق ٤).

(٣) البحث عن عقيدة الألوهية في المسيحية، الأسقف هانسون، أدنبره ١٩٨٨صـ٢٢.

ورفع آريوس شعار «فلنتبع المسيح كما علمنا»[1] Follow Jesus as he preached فطالما أنه لا يمكن أن يكون هناك من هو أعظم من الله.

وقد قال المسيح عن نفسه كما ورد في إنجيل يوحنا «الأب أعظم مني»[2]، وطالما أن المسيح لا يقول إلا الصدق إذا فهو ليس الله، أضف إلى ذلك أنه لم يقل» أنا الله» أو حتى «أعبدوني» أبدا[3].

وطالما أن الله قادر على فعل أي شئ.

وقد قال المسيح عن نفسه كما ورد في إنجيل يوحنا «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا»[4]، وطالما أن المسيح لا يقول إلا الصدق إذا فهو ليس الله.

وطالما أن الله هو عالم بكل شيء.

وقد قال المسيح عن نفسه كما ورد في إنجيل مرقس «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب»[5]، وطالما أن المسيح لا يقول إلا الصدق إذا فهو ليس الله.

(١) محمد عطاء الرحيم: عيسى رسول الإسلام،، لندن ١٩٧٧ صـ٨١.

(٢) يوحنا إصحاح ١٤ آية ٢٨.

(٣) و بالرغم من ذلك فتعاليم الكنيسة تقضي بأن خلاص الإنسان مرتبط بإيمانه لأن المسيح هو الله.

(٤) يوحنا إصحاح ٥ آية ٣٠.

(٥) مرقس إصحاح ١٣ آية ٣٢.

وطالما أن الله يوحي ولا يوحي إليه.

وقد قال المسيح عن نفسه كما ورد في إنجيل يوحنا «إن لي أشياء كثيرة أتكلم واحكم بها من نحوكم. لكن الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم»[1]، وطالما أن المسيح لا يقول إلا الصدق إذا فهو ليس الله.

بالإضافة للإشارات العديدة للمسيح وصلواته في الإنجيل، فلمن كان يصلي، هل كان يصلي لنفسه؟

هل عندما قال «إلهي إلهي لما شبقتني؟» كان يقصد «نفسي نفسي لما شبقتني؟»

أم أن المسيح لم يكن هو الله؟

إشكالية هل تخالف عقيدة أريوس عقيدة الإسلام في طبيعة السيد المسيح بالرغم من قوله بأنه مخلوق

أولا: إطلاق لفظ الابن على السيد المسيح ولفظ الأب على الله تعالى تجاوز علماء المسلمين الذين تعمقوا في ثقافة بني إسرائيل واللغة العبرية هذا المصطلح لورود مصطلح الابن بمعنى متدين أو بار، ونستشهد برأي كلا من ابن تيمية والشيخ رحمة الله خليل الهندي، يقول ابن تيمية:

(١) يوحنا إصحاح ٨ آية ٢٦.

«إذا كان الأب في لغتهم هو الرب الذي يربي عبده أعظم مما يربي الأب ابنه كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة فيكون المعنى: اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا»(١).

أما رحمة الله خليل الهندي فيستدل على أن لفظ الابن لا يؤخذ بمعناه الحرفي من آيات الكتاب المقدس نفسه قائلا:

«أن لفظ الابن في قولهم (ابن الله) لا يصح أن يكون بمعناه الحقيقي؛ لأن المعنى الحقيقي للفظ الابن باتفاق جميع لغات أهل العالم هو المتولد من نطفة الأبوين، وهو محال هاهنا، فلابد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح عليه السلام، أي بمعنى الإنسان الصالح البار.

والدليل على ذلك المعنى المجازي قول قائد المائة الوارد في إنجيلي مرقس ولوقا، ففي إنجيل مرقس ١٥ / ٣٩: (قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله)، وفي إنجيل لوقا ٢٣ / ٤٧: (فلما رأى قائد المائة ما كان مجد الله قائلا بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا).

فوقع لفظ البار عند لوقا مكان لفظ ابن الله عند مرقس، وبغض النظر عن أن هذا التناقض بين اللفظين هو بسبب التحريف المستمر

(١) إبن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار الحديث بالقاهرة سنة ٢٠٠٣ ج٢ صـ ١٩٨.

الواقع في الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح، فعلى فرض صحة اللفظين ففيهما دليل على جواز إطلاق لفظ ابن الله على الإنسان الصالح البار، وبخاصة أنه ورد في الموضعين وصف قائد المائة للمسيح بأنه إنسان.

وقد ورد في الأناجيل إطلاق لفظ ابن الله على غير المسيح من الصالحين، كما ورد إطلاق لفظ ابن إبليس على فاعلي الشر، ففي إنجيل متى إصحاح ٥ آية ٩ والآيتين٤٤ و٤٥: «طوبى لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يدعون () وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم () لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات.

فأطلق عيسى على صانعي السلام والصالحين العاملين بما ذكر لفظ أبناء الله، وعلى الله لفظ الأب بالنسبة إليهم.»[١].

وبهذه الطريقة أثبت رحمة الله الهندي أن تعبير «ابن الله» يحمل معنى مجازيا وهو «بار» أو «متدين» وذلك بتفسير الكتاب بالكتاب نفسه.

ثانيا: قول منسوب لآريوس أن الابن كان بداية لأشياء مخلوقة:

ورد في منظومة الوليمة الشعرية Thialia المنسوبة لآريوس البيت التالي:

(١) رحمة الله خليل الهندي: إظهار الحق، اختصار محمد ملكاوي، الرياض ١٩٨٩ صـ١٠٨.

«هو الذي ليس له بداية خلق الابن الذي كان بداية لأشياء مخلوقة».

بفرض ثبوت نسبة المنظومة لآريوس والتي سبق أن ذكرنا تشكك المؤرخين في ذلك لعدم ورودها إلا عن طرق أثناسيوس ألد خصوم آريوس، فلازال من الممكن التوفيق بين ذلك المعنى ومدلول الآية الكريمة في سورة آل عمران التي تقضي بأن السيد المسيح قد خلق من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فكان طيرا بإذن الله وكذلك أحيا الموتى بإذن الله وكلها من خصوصيات الله تعالى:

﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

يقول الطبري في تفسيره مثبتا أن عيسى بن مريم عليه السلام قد شكَّل الطين على هيئة طير ثم نفخ فيه بإذن الله ليصبح طيرًا مخلوقًا:

«حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق: أن عيسى صلوات الله عليه، جلس يوما مع غلمان من الكتاب، فأخذ طينا، ثم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائرا؟ قالوا: وتستطيع ذلك؟ قال: نعم بإذن ربي! ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه، ثم قال: كن طائرا بإذن الله! فخرج يطير بين كفيه، فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه

لمعلمهم، فأفشوه في الناس وترعرع، فهمت به بنو إسرائيل، فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة. وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطير من الطين سألهم: أي الطير أشد خلقا؟ فقيل له الخفاش»[1].

أما إحياء الموتى فيقول الإمام القرطبي إن السيد المسيح أحيا بإذن الله تعالى أربعة أنفس:

«قيل: أحيا أربعة أنفس: العاذر: وكان صديقا له، وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح -فالله أعلم. فأما العاذر فإنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام فدعا الله فقام بإذن الله فعاش وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مر به يحمل على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله. وأما بنت العاشر فكان أتى عليها ليلة فدعا الله فعاشت بعد ذلك وولد لها -فلما رأوا ذلك قالوا: إنك تحيي من كان موته قريبا فلعلهم لم يموتوا فأصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح. فقال لهم: دلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه، حتى انتهى إلى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه. فقال له عيسى: كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب؟ فقال: يا روح الله، إنك دعوتني فسمعت صوتا يقول: أجب روح الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن هول ذلك شاب رأسي. فسأله عن النزع فقال: يا روح الله إن مرارة النزع لم تذهب عن حنجرتي -وقد كان من وقت

(١) تفسير الطبري، دار التوفيقية بالقاهرة سنة ٢٠٠٤ ج٣ صـ٣٠٠.

موته أكثر من أربعة آلاف سنة، فقال للقوم: صدقوه فإنه نبي -فآمن به بعضهم وكذبه بعضهم وقالوا: هذا سحر»[١].

ثالثا: القول المنسوب لآريوس بأن المسيح هو مخلوق كامل وليس كأي مخلوق آخر:

يعتبر هذا القول المنسوب لآريوس في خطاب ادعى خصومه أنه أرسله للأسقف إسكندر أسقف الإسكندرية عام ٣٢٠م يقول فيه:

«عقيدتنا التي تعلمناها من الآباء ومنك أيها الأب المبارك هي: أننا نشهد بإله واحد، هو وحده لم يولد وهو وحده الأول، وهو وحده الباقي، وهو وحده بلا بداية، وهو وحده الحق، وهو وحده الخالد الذي لا يموت، وهو وحده الحكيم، وهو وحده بيده الخير، وهو وحده الملك، الحكم، الحاكم، رازق كل شيء، الذي لا يتحول ولا يتبدل، عادل وخير الذي أنجب الابن الوحيد المولود قبل الزمان[٢] ومن خلاله خلق كل المخلوقات، جعله باقيا بمشيئته لا يتغير ولا يتبدل، مخلوق كامل خلقه الله ليس كأي من مخلوقاته»[٣].

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث ١٩٩٠ صـ١٣٣٦.

(٢) كلام مخالف لعقيدة آريوس ربما أضيف من أحد خصومه أو كان تعليقا كتب على نفس الورقة، و هو لا يؤثر إذ إن الخطاب كله مشكوك في نسبته لآريوس.

(3) Epiphanius ،Refutation of All Heresies 69.7-8 ،Hilary ،On the Trinity 4.12f. 6.5f.

فالقول بأن المسيح بشر كامل يتفق مع عقيدة المسلم في الرسل ويذكر محمد نعيم ياسين في باب الإيمان بالرسل تحت عنوان «الواجب علينا نحو الرسل»:

«ويجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل الخلق علما وعملا، وأصدقهم، وأكملهم أخلاقا وأن الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأنه عصمهم ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في التبليغ وعن الكبائر كلها والصغائر»(١).

والقول بأنه ليس كأي من مخلوقاته يتفق مع عقيدة المسلم أن المسيح هو الوحيد من دون البشر جميعا الذي ولد من أم بلا أب، كما أن آدم دون البشر جميعا الذي ولد بلا أب أو أم، وكما أن حواء دون البشر جميعا ولدت بلا أم.

النصف أريسيين Semi Aarians وصف أطلق على كل من عارض التثليث ولو جزئيا مثل:

- الهومويوسيانس Homoiousians ظهرت تلك الجماعة في أواخر العقد السادس من القرن الرابع الميلادي على يد مارسيلوس -Marcel

(١) شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة للملا علي القارى صـ٥٦، باقتباس من الإيمان أركانه، حقيقته، ونواقضه لمحمد نعيم ياسين. دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٨٦ صـ٤٦.

lus حول مـدينة أنقرة وقد قال إن عـلاقة الأب بالابن هي الولادة لا الخلق، واعتبروهما مشتـركين في طبيعة الألوهية ولكنهم قالوا إن الابن أقل منزلة من الأب(١).

- النيوماتـشيانس Pneumatchians أو الماسيـدونيانس Macedonians وهي جمـاعة نشطت في العقـدين السابع والثـامن من القرن الرابع على يد ماسيـدونيوس Macedonius وقد ألهوا الابن واعـتبروه في نفس درجة الأب ولكنهم نفوا الألوهية عن الروح القدس(٢).

وأطلق عليهم النصف أريسيين لأنهم أريسيين فقط في ما يخص نفي الألوهية مع الروح القدس.

ويجب الحـذر من الخلط بين هذه المجمـوعات وبين الأريـسيين وقد أعلن ذلك هانسون قائلا:

«عقائد الآريوسـيين الجدد واليونوميانس تمثل بالنسـبة لي حالة من التـيه والزيغ عن العـقيـدة الآريوسـية الأصليـة وليست صـورة من التجديد الحتمي»(٣).

(1) See J.N. Steenson ،?Basil of Ancyra and the course of Nicene Orthodoxy? P. 195-208.

(٢) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـــ٣٠.

(3) The search for the Christian doctrine of God ،R.P.C. Hanson ،Edinburgh ،1988- .100
127 Journal of Philosophy and Scripture ،volume 2 ،issue 2 ،spring 2005.

الفصل الثالث

اضطهاد النصارى الموحدين [الأريسيين]

يذكر مؤرخ الأديان الشهير د. ساندرز في حوار نشر معه في مطبوعة الفلسفة والكتب السماوية عن المسيحيين سيطرتهم على الدولة الرومانية:

«بدأ المسيحيون في اضطهاد غير المسيحيين ثم بدؤوا يضطهدون بعضهم بعضا لكونهم ليسوا من النوع المطلوب من المسيحيين»[١].

وليس معنى كلام ساندرز أن الاضطهاد اقتصر على المسيحيين الذين يؤمنون بالثالوث المقدس لأنهم خالفوا الكنيسة الكاثوليكية بعدم قبولهم لقرارات مجمع خلقدونية[٢] التي تقضي بوجود طبيعتين للسيد المسيح، ولكن تعدى الاضطهاد إلى من سموا بالهراطقة ومنهم الآريوسيين لإصرارهم على عقيدة أن المسيح مخلوق مخالفين بذلك قرارات مجمع نيقية عام ٣٢٥م، يذكر سام إليوت:

«كل ما قيل عن اضطهاد الهمج الوثنيين للمسيحيين ينطبق تماما على اضطهاد الكنيسة للهراطقة. بعد عصر نيقية لم تقتصر معاملة المفارقين

(١) مجمع مقدس أقيم عام ٤٥١م قرر أن المسيح له طبيعتين، إنسانية و إلهية، و هو ما عارضته الكنيسة الشرقية و نتج عنه انشقاق المؤمنون بالثالوث إلى كاثوليك و أورثوذوكس.

(2) Sam. Eliot: History of Liberty. Boston ٤ ،١٨٥٨ ،vols. Early Christians ،vols. i. and ii.

لعقيدة حكم دولة الكنيسة على الكره والحرمان الكنسي لخطئهم في العقيدة ولكنهم عوملوا كمجرمين ضد الدولة المسيحية وبذلك عوقبوا بعقوبات مدنية مثل الخلع من المناصب والإبعاد والمصادرة ووصل الأمر إلى الإعدام بعد وصول الإمبراطور ثيودوسيوس للحكم».

يسجل جون ديفنبورت رقما قياسيا لعدد النصارى الموحدين الذين قتلتهم الكنيسة، ويقول إنهم بلغوا أكثر من اثني عشر مليونا:

«لهذه الأسباب كان الإيمان الأعمى مطلوبا، ولهذا السبب أعدمت الكنيسة اثني عشر مليونا من النصارى الموحدين ال Unitarians بوصفهم هراطقة في محاكم الكنيسة سيئة السمعة»[١].

ونحاول بإيجاز ذكر محطات الاضطهاد:

- الإمبراطور قسطنطين العظيم (the Great Constantine يدين بالوثنية حتى ذلك الوقت) يعلن الحرية الكاملة للعقيدة عام ٣١٢ م.
- الإمبراطور الوثني قسطنطين يرأس مجمع نيقية عام ٣٢٥ م حيث تم إقرار عقيدة التثليث بالتصويت[٢] وكان من المصوتين لصالح عقيدة

(١) جون ديفنبورت، كتاب (عذرا محمد والقرآن)، لندن، ١٨٦٩ صـ١٦٠.
An apology for Mohamed & the Quran، John Davenport ،London- ١٨٦٩،160.

(٢) هيوبرت جدين، الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة،، نيويورك ١٩٩٣صـ١٧٥

التثليث كثيرون من المعارضين لها في الحقيقة لكنهم فعلوا ذلك رغبة في السلام وخوفا من العزل(١).

- قسطنطين يحرم الهراطقة والخارجين عن عقيدة التثليث من حقوق المواطنة عام ٣٢٦ م ويأمر بإبعاد آريوس والقساوسة المقربين منه وحرق كتبهم(٢).
- قسطنطين يعيد من المنفى الأساقفة يوسوبياس وثيوجنيس زملاء آريوس في الدراسة عند لوسيان، وهم من الأساقفة الآريوسيين ويقربهم منه(٣).
- قسطنطين يدعو آريوس عام ٣٢٧م ويسمح له بشرح عقيدته ويعده بعقد مجمع لإلغاء حرمانه الكنسي(٤).
- الأساقفة يوسوبياس وثيوجنيس يعلنان عقيدة التوحيد (الآريوسية) على أنها العقيدة الأورثوذكسية(٥).
- وفاة آريوس عام ٣٣٦ م(٦).

(١) انظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢.
(٢) انظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ٣١٩.
(٣) هيوبرت جدين، الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة، ، نيويورك ١٩٩٣صـ١٧٩.
(٤) المرجع السابق صـ١٨١.
(٥) المرجع السابق صـ١٨١.
(٦) المرجع السابق صـ١٨١.

● أخت قسطنطين والقس يوسوبياس يؤثران على قسطنطين ويعمدانه على عقيدة التوحيد (الأريوسية) قبل وفاته بوقت قصير عام ٣٣٧م[(١)]، [(٢)] ويقول عطاء الرحيم:

«كان قسطنطين يعلم أن الدين الذي لا بنبع من العقيدة وإنما بنتيجة التصويت لا يمكن أخذه مأخذ الجد، المرء يؤمن بالله ولكن لا ينتخبه في عملية ديمقراطية»[(٣)].

● الإمبراطور الجديد قسطنطيوس الثاني Constantius II ابن قسطنطين) يعتنق عقيدة التوحيد المعروفة بالآريوسية ولا يعترف بسواها خلال فترة حكمه التي دامت ٢٤ سنة[(٤)].

● انتصر الآريوسيون بقيادة قسطنطيوس على المانويين[(٥)] وقويت في عهدهم الإمبراطورية الرومانية تحت راية التوحيد يؤرخ ذلك يوحنا النقيوسي:

«لم يكن الآريوسيون وحدهم في هذه الأيام هم الذين أثاروا الشغب ضد الكنيسة، فالمانيون ثاروا من جانب آخر وبدؤوا الاضطهاد ضد

(1) Eusebius ،Vita Const. 4. 61-62; Jerome ،Chron. ad annum 2353.

(٢) الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة، هيوبرت جدين، ١٩٩٣ نيويورك صـ١٧٠.

(3) Jesus a prophet of Islam ،AtauRahim ،London 1977. P.103.

(٤) هيوبرت جدين، الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة،، نيويورك ١٩٩٣صـ١٨١.

(٥) الحركة المانية نسبة ل Maniظهرت كدين جديد في بلاد فارس ومنها انتشرت غربا في القرن الثالث الميلادي، طبقا لتاريخ الكنيسة لكورتز صـ١٢٦.

المسيحيين، والشغب الكثير وإراقة الدماء، ومن ثم قام قائد قوي ضد مدينة روما، اسمه مجنديوس، واستولى على المملكة وقت غروب الشمس[١] دون إذن قسطنطيوس، وسار إلى بلاد أورابي[٢] وتقاتل مع قسطنطيوس، ومات خلق كثير من الجانبين. وبعد موت مجنديوس القوي انتصر قسطنطيوس، واستولى على كل ما كان لمجنديوس. ولما حاز قسطنطيوس النصر لم يمجد الرب كالملوك المسيحيين الذين قبله، بل تبع الآريوسيين في كل عمله»[٣].

- أقام الموحدون مجامع عقائدية أدانت عقيدة الثالوث في مواجهة المجامع التي أقيمت لإقرارها بل وقاموا بعزل الأساقفة المثلثين وحرمانهم الكنسي وعلى رأسهم أثناسيوس أسقف الإسكندرية الذي عينوا مكانه أحد أهم الأسماء الآريوسية وهو جورجيوس الكبادوكي الآريوسي ويذكر يوحنا النقيوسي:

«ثم اجتمع مجمع الأساقفة الهراطقة بمدينة منطاليا[٤]، وهي مدينة إيطالية بتدبير من هؤلاء العصاة الذين انتقصوا العقيدة الأرثوذكسية

(١) هكذا في النص ويبدو أن الصواب هو «الأجزاء الغربية» إذ كان حاكما عليها كما ورد في التاريخ الكنسي لسقراط.

(٢) أوروبا في النسخة الإنجليزية صـ٨٨.

(٣) كتاب «تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي -رؤية قبطية للفتح الإسلامي» ترجمه من النسخة الحبشية د. صابر عبد الجليل، الناشر عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية، صـ١١٢.

(٤) ميلانو طبقا للنسخة الإنجليزية صـ٧٢.

وأنكروا عقيــدة الثالوث المقدس، واضطرهم قسطنطيـوس أن يكتبوا كتاب إدانة ضد أثناسيــوس الحواري بطريرك الإسكندرية مع من تبعه من الأساقفة»[١].

ولكن مراد كامل يذكر تفاصيل أكثر عن قرارات ذلك المجمع فيقول:

«عقـد الإمبـراطورقسطنديوس مـجمعـا في ميـلان سنة ٣٥٥م ضد البطريرك أثناسيوس، وكـان معظم المجتمعين من الآريوسـيين، وفي عزل أثناسـيوس ونصب بدلا منه جورجيـوس الكبادوكي الآريوسي بطريركا على الأسكندرية»[٢].

- تحت حكم جوليان (المعروف بالمرتد) Julian the Apostate[٣] عادت الحرية الدينية لتعود الوثنيـة من جديد على عرش الدولة الرومانية[٤] وتنزل عنه عقيدة التوحيد (الأريوسية).
- عام ٣٨٠ م الإمـبراطور ثيودوسيـوس (المعروف بالعظيم) Theodo-sius the Great يتعـمد على عقـيدة التثليث، وبـذلك اعتلت تلك العقيدة عرش الدولة وأصبـحت لها السلطة العليا، وأعلنت عقوبات

(١) المرجع السابق صـ١١٣.
(٢) حضارة مصر في العصر القبطي، مراد كامل صـ٤١.
(٣) طبقا للموسوعة الكاثوليكية، أنه اعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية من ٣٦١ إلى ٣٦٣ وكان وثنيا، الموسوعة الكاثوليكية، المجلد الثامن، ١٩١٠ نيويورك.
(٤) انظر تاريخ الكنيسـة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ٣٢٣.

مشـددة تصل إلى الإعدام ضد كل العـقائد الأخرى وثنيـة كانت أم آريوسية أو عقائد مـسيحية أخرى بهدف توحيـد الإمبراطورية توحيد الكنيسة الأورثوذوكسية وأعلن رسميا باسمه واسم شركائه في الحكم الإمبراطوريـن جراتيان Gratian وفالنتانـيان الثاني Valentinian II تسمية الكنيسـة بالكاثوليكية وتسمية الأريوسيين بالهراطقة[١].

- من ٣٨٠ م إلى ٣٩٥ م تم إصـدار خـمسـة عـشـر قـانونا ضـد الأريوسيين قضت بمختلف العقوبات ومنها الإعدام وتسبب ذلك في قطع رؤوس كثيرة في أنحاء الإمبراطورية[٢] وكانت من عادة الرومان قتل أعدائهم برميهم أحياءا للسباع الجائعة[٣].

وتذكر كل كتب التاريخ[٤] المذبحة البشعة التي قـتل فيها الإمبراطور ثيودوسيوس أكثر من ١٥٠٠٠ آريوسي في مدينة سالونيكا (بمقدونيا حاليا) وذكر يوحنا النقيوسي:

«بعد ذلك ظهرت بدع وفرق عديدة في سالونيكا التابعة للآريوسيين. وحـدثت اضطرابات في المديـنة بين السكان والـضبـاط، وألقى

(١) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـ٣٢.

(٢) المرجع السابق ٣٣.

(٣) انظر د. كورتز تاريخ الكنيسة،، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ٨٠.

(٤) على سبيل المثال لا الحصر كتاب فصول من تاريخ الكنيسة لباول ميلز.

Chapters in Church History by Powel Mills.

الآريوسيون الحجارة على الضباط، وإهانة الإمبراطور. فلما علم الإمبراطور بما فعل الآريوسيون، تظاهر بأنه في طريقه إلى روما وزحف إلى سالونيكا بكل ضباطه وجنوده، وباستخدام الخديعة أرسل رجالا مسلحين إلى سكان المدينة ودمروا الآريوسيين. وكان عدد هؤلاء الذين قتلوا بالسيف ١٥٠٠٠»[١].

ويبقى أمر التبرير الشرعي لتلك المذابح واستخدام القوة ضد المخالفين في العقيدة ممن يفترض أنهم أتباع عقيدة مسالمة ومتسامحة تدعوا لحب العدو والصلاة من أجله[٢] يقول عميد كانتربري ويس هنري عن القديس أوجستين[٣] الذي أجاز التعذيب والاضطهاد للمخالفين في العقيدة استنادًا إلى الآية رقم ٢٣ في إنجيل لوقا الإصحاح الرابع عشر «فقال السيد للعبد: اخرج إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي» وطبقا لإنجيل الملك جيمس بالإنجليزية فالكلمة المستخدمة هي Compel them أي أكرههم بالدخول:

(1) The chronicle of John of Nikiu chapter 82- 88.

(٢) «لكني أقول لكم أحبوا أعداءكم و باركوا لاعنيكم» متى إصحاح٥ آية ٤٤

(٣) ولد بمدينة نوميديا (قسنطينة بالجزائر حاليا) عام ٣٥٤م ومات ٤٣٠م، يعتبر أحد الأعمدة الرئيسية للكنيسة ومركز علم اللاهوت والحياة الكنسية في العالم الغربي، أوجوستين هو أعظم وأقوى وأكثر الآباء تأثيرا. انظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ٣٠٣.

«. . . أحد العواقب-المخالفة للمسيحية- والمترتبة على تعاليم أوجوستين كان اضطهاد الهراطقة كواجب من واجبات الدولة المسيحية. في أيامه الأولى خالف أوجوستين هذا المبدأ ولكن تحت ضغط مشكلة أتباع دوناتاس غير رأيه، من أجل المتشككين والضعفاء ومن أجل مصلحة الأجيال القادمة وجد المسوغ للإضطهاد في لوقا١٤: ٢٣» [١].

أما موسوعة الأناجيل وتاريخ التعاليم فتذكر أن الأساقفة المسيحيين هم الذين طالبوا الإمبراطور باستخدام القوة مع الهراطقة للتخلص من الدوناتية[٢]:

(1) Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century A.D. ،with an Account of the Principal Sects and Heresies. Author: Wace ،Henry (1836-1924)

?One unchristian corollary of Augustine's doctrine was the persecution of heretics as a duty of the Christian state. In his earlier days Augustine disapproved of this (contr. Ep. Man. 1?3; Ep. 23٧ ،; 93،٥ ،٢ ، etc.); but the stress of the Donatist controversy changed his mind; in the interest of the doubtful ،the weak ،the generations to come ،he found a sanction for persecution in St. Luke xiv. 23: Cogite intrare.?

(٢) الدوناتية نسبة لـ Donatus كما يقول سكوت في موسوعة الأديان والأخلاق؛ الدوناتية في حقيقتها خلاف شخصي إقليمي بين طوائف الرهبان، وأكد أنها ليست هرطقة ولا خروجا على الدين وأن ميدانها كان في نوميديا ومرطانية؛ C.A.Scott، Encyclopedia of Religions and Ethics: vol 4 ،P844.

«ووافق أوجوستين نفسه على اللجوء للقوة متخذا إنجيل لوقا ١٤: ٢٣ مرجعا له، فأقيم مجمعا مقدسا بقرطاج عام ٤٠٥ م مطالبا الإمبراطور هونوريوس بإعلان قوانين جزائية ضد أتباع دوناتاس. ووافق الإمبراطور على المطالبة، وتم تغريم العوام (من أتباع دوناتاس) ونفي رجال الدين وإغلاق كنائسهم في عام ٤١٤ م فقد أتباع دوناتاس كل حقوقهم المدنية وفي عام ٤١٥ منعوا من أي تجمعات بغرض العبادة وإلا واجهوا عقوبة الموت ومع ذلك لم يهمدوا حتى جاء الشرقيون (العرب) Saracens واحتلوا البلاد وقضوا على الكنيسة الإفريقية»[١].

(1) Albrecht Vogel «،Donatism «،Philip Schaff ،ed. ،Dictionary of Biblical ،Historical ،Doctrinal ،and Practical Theology٣ ،rd edn ،Vol. 1. Toronto ،New York & London: Funk & Wagnalls Company، 1894 .pp.659-661.

?Augustine himself consented to an appeal to force ،referring to Luke xiv. 23. A synod of Carthage (405) petitioned the Emperor Honorius to issue penal laws against the Donatists. The petition was granted: laymen should be fined ،clergymen banished ،and the churches. closed. But Honorius could not afford to make any more enemies than those he already had ،and in 409 he issued an edict of toleration; but this. edict raised such a storm in the Catholic Church،، that it had to be immediately repealed. A disputation was then arranged in Carthage (411) ،Collatio cum Donatistis. Two hundred and eightysix Catholic and two hundred and seventy-nine Donatist=

ويذكر كتاب تاريخ الكنيسة بشأن تغير موقف القديس أوجوستين من مسألة قهر وتعذيب المخالفين في العقيدة من المعارضة لممارسة الإكراه بالقوة في مسائل العقيدة التي محلها القلب إلى حد جعلها واجبة من أجل مصلحة الهراطقة أنفسهم:

«أوجوستين، الذين كان رأيه أولا هو عدم استخدام القوة في مسائل العقيدة، تغير رأيه بفعل تشدد وصلابة موقف معارضيه، وأقر بأن الإكراه بالقوة واجب من أجل إعادة هؤلاء الهراطقة للكنيسة ومن أجل خلاصهم مستندا لإنجيل لوقا ١٤ : ٢٣»(١).

كانت وسائل الرومان في اضطهاد المخالفين في العقيدة وتعذيبهم غير آدمية استخدمت فيها الضرب بالسياط والحرق على الكرسي

= bishops were present: Augustine and Aurelius were the speakers of the former; Primianus and Patilianus ،those of the latter. For three days the debate lasted ،but no result was. arrived at. Finally the imperial commissioner declared the Donatists vanquished ،and very severe measures were decided upon against them. In 414 they lost all civil rights; in 415 they were forbidden to assemble for worshipping, under penalty of death. Nevertheless ،they had not become extinct, when ،in the seventh century ،the Saracens occupied the country and destroyed the African Church.?

(١) انظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ٣٩٥.

الحديدي بعد أن يحمر لونه من شدة سخونة الهيكل المعدني ثم يلقو للسباع الجائعة لتقطعهم إربا[١].



رسم تخيلي لاستخدام الرومان للسباع
في تعذيب المخالفين في العقيدة



نقش على جدران معبد روماني للسباع
وهي تهاجم أحد المخالفين في العقيدة

(١) انظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ٨٠.

من المهم ألا يظن الناس عندما يقرأون عن اضطهاد وتعذيب النصارى الموحدين المعروفين مجازا بالآريوسيين أنهم كانوا أقلية، بل العكس تماما، فقد اعترف بأنهم كانوا أغلب النصارى أناس ذوي مكانة كبيرة بين معتنقي عقيدة التثليث، ومنهم القديس جيروم وهو أحد أهم الأسماء في تاريخ الكنيسة، حيث نِيطت به ترجمة الإنجيل من الإغريقية والعبرية للاتينية وتنقيح النصوص المحرفة[1]، إذ يقول عن حجم الآريوسيين في العالم: «معظم العالم صرخ وتعجب ليجد نفسه آريوسيا»[2].

أما القسطنطينية فكانت آريوسية عن بكرة أبيها عند اعتلاء ثيودسيوس العرش كأول إمبراطور روماني يعتنق عقيدة التثليث، يقول موريس وايلز:

«ليس فقط أن قيادة الكنيسة في القسطنطينية كانت آريوسية لمدة أربعين سنة بل أن معظم السكان من النصارى في المدينة كانوا يميلون للآريوسية عن عقيدة نيقية (التثليث)»[3].

في عهد ثيودسيوس منع النصارى الموحدين من الكنائس ومن الاجتماع حتى في المنازل وبالرغم من ذلك استمر الآريوسيون في

(١) انظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ٣٧٢.

(٢) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـ٣٢.

(٣) نفس المرجع السابق صـ٣٢.

العبادة بالاجتماع في الهواء الطلق وتنظيم مواكب للتسبيح التي كانت عادة ما تنتهي بصدامات مع مظاهرات غرمائهم الكاثوليك(١).

● وقد وصل تعذيب المخالفين لهم في العقيدة مداه في الدولة الرومانية حتى بعد الفتح الإسلامي لبعض أراضيها بل تفنن الرومان في أساليب التعذيب ويذكر كتاب تاريخ الكنيسة أنه في عام ٦٥٤م -أي بعد أربعة عشر عاماً من فتح المسلمون لمصر سنة ٦٤٠م ١٦٧- قام الإمبراطور قنسطنس الثاني بجلد أحدهم بالآلات الحادة التي تسبب نزيف الدم من مختلف أنحاء الجسم حتى الموت:

«و في عام ٦٥٤م كان قنسطنس أول من جلد (بالآت الحادة) حتى تفريغ الدم والتعذيب البربري على أحد المعارضين العنيدين لنظامه المقترح لتوحيد العقيدة»(٢).

و اللفظ المستخدم لكلمة الجلد حتى تفريغ الدم هو:

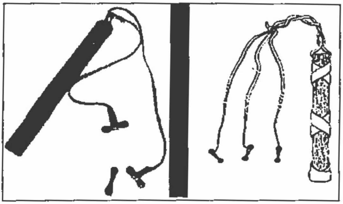
scourging to the effusion of blood و يشرح دكتور جون ديسالفو(٣) هذه الطريقة في الجلد بأنها تمارس باستخدام آلة الفلاجرام ذات

(١) نفس المرجع السابق صـ٣٤.

(٢) تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن ١٩٣٢ صـ٣٤٠ المرجع السابق صـ٢٤٣١٦٨.

(٣) مدير معهد أبحاث أهرام الجيزة.

يد خشبية لها سوطين أو ثلاثة في نهاية كل منها كرات من الرصاص تسبب تقطيع الجلد وجروح غائرة وألما شديدا تسمي الفلاجرام[١].



آلة الفلاجرام

تذكر موسوعة تاريخ العالم أن العقيدة الأريوسية (عقيدة التوحيد) أصبحت العقيدة الوطنية للقبائل الجرمانية، التي انتقلت من القوط Gothsإلى الوندال Vandalsو غيرهم من القبائل. حتى أصبحت إيطاليا في القرن الخامس والسادس في معظمها أريوسيين لوجود قبائل الأوستروقوط (Ostrogoths القوط الشرقيين) وأسبانيا كذلك لوجود الفيزيقوط (Visigothsالقوط الغربيين) وشمال أفريقيا أيضا لوجود قبائل الوندال، ثم تستطرد الموسوعة:

«أعادت قبائل بربرية أخرى وهي اللومبارد Lombards العقيدة الأريوسية لإيطاليا عند نهاية القرن السادس بعد كبتها من معظم المناطق

(١) ورقة بحث لدكتور جون ديالفو منشورة على موقع معهد أهرام الجيزة http:// www.gizapyramid.com/LECTURE-SHROUD1.htm.

نتيجة للحملة النشطة التي قام لها الأورثوذوكس بقيادة الإمبراطور المثلث جوستنيان Justinian، أما في أسبانيا الفيزيقوطية Visigothic Spain تحول الملك ريكارد من الأريوسية إلى الكاثوليكية (الأورثوذوكسية) عام ٥٨٩ م وبدأ في اضطهاد الأريسيين (الموحدين) ولكن بقاياهم ظلت موجودة في أسبانيا حتى إنتصار المسلمين في ٧١١ م أي مرور أربعة قرون منذ اجتماع مجمع نيقية عام ٣٢٥ م»[١].

- وكان اعتناق القبائل الجرمانية للآريوسية سببا آخر لاضطهاد الآريوسيين في المقاطعات المختلفة للإمبراطورية؛ لأن ذلك جعلهم يبدون كخونة للدولة بالإضافة لاعتبارهم هراطقة، حيث كانت القبائل الجرمانية عدوا تاريخيا للدولة الرومانية وأطلق عليهم البرابرة[٢].

- أما الآريوسيون في الغرب فلم يكونوا أسعد حالا من إخوانهم في الشرق فعزلت مجتمعاتهم وهمشت، ودفعوا للحياة في الجيتو[٣] يواسون أنفسهم على سوء أحوالهم الاجتماعية معتبرين أنفسهم القلة الباقية من الفئة المؤمنة في عالم مفترس[٤].

(1) www.historyworld.net.

(٢) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـ٣٨.

(٣) كلمة بمعنى مجتمع منعزل وفقير ومهمش اجتماعيا واقتصاديا يعيش فيه فئة دينية أو عرقية، وأطلق على أحياء اليهود في أوروبا أيام الاضطهاد.

(٤) المرجع السابق صـ٤٠.

الفصل الرابع

الأدلة على وجود النصارى الموحدين حتى الفتح الإسلامي

لطالما ذكرت كتب التاريخ التي تدرس في المدارس أن الفاتحين المسلمين دخلوا مصر بقيادة عمرو بن العاص عام ٢٠ هجريا دون مقاومة من المصريين بل كانت الحرب تدور بين العرب الفاتحين والرومان من مدينة إلى أخرى، ولطالما كانت هذه الرواية لغزا غير مفهوم لدرجة أن د. جمال حمدان فسر ذلك الموقف السلبي للمسيحيين المصريين على أنه نوع من أنواع المقاومة للاحتلال الروماني:

«وإذا كان هذا الاستعمار، الذي تعاصر مع ظهور المسيحية، قد تحول إلى عصر اضطهاد ديني عنيف وحروب طائفية رهيبة -"عصر الشهداء» -فقد كان هذا الصراع الديني في حقيقته صراعا قوميا وحروب تحرير ضد الاستعمار، أصبحت المسيحية والقبطية فيه رمزا وتعبيرا عن القومية والمصرية، بل كان ظهور نظام الرهبنة به أيضا نوعا من المقاومة الوطنية السلبية كما يرى البعض، كما كان الموقف السلبي، بل المرحب، من الفتح العربي موقفا إيجابيا ضد ذلك الاستعمار المبتز الغاشم»(١).

ولكننا في هذا الفصل نسوق الأدلة على وجود النصارى الموحدين في البلاد المفتوحة وعلى الأخص مصر مما يعطي بعدا جديدا لمسألة

(١) جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، المجلد الثاني صـ ٦٢٥.

عدم مقاومة المصريين بل وترحيب بعضهم بالفاتحين العرب كما سيتضح لاحقا.

ونستدل على وجود النصارى الموحدين بأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال الصحابة والكتب التاريخية.

أولا من القرآن الكريم:

وضح القرآن الكريم أن هناك فريقين رئيسيين من أهل الكتاب من حيث موقفهم من دعوة خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم، فمنهم من يسارع إلى الإيمان بما جاء به النبي الخاتم لما يجدونه مصدقا لما هم عليه من عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى بن مريم ﷺ.

ومنهم من يبقى على معتقداته التي يعتبرها الإسلام كفرا مثل عقيدة الثالوث وعقيدة تأليه السيد المسيح صلى الله عليه وسلم بالرغم من إرشاد القرآن النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم لبدء دعوته لهم بأن يقص عليهم قصة ولادة المسيح وأمه العذراء البتول عليهما الصلاة والسلام، بل وتحذيرهم من المغالاة في دينهم، فيقول القرآن في الفريق الأول:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا

لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٨٢- ٨٦].

وقال قتادة مفسرا قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

«نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى، فلما بعث الله محمدا ﷺ آمنوا به فأثنى الله عليهم»(١).

ويقول صاحب الظلال محذرا المسلمين الذين يخطئون فهم هذه الآية ظانين انطباقها على كل من قالوا «إنا نصارى»:

«فإن الكثيرين يخطئون فهم مدلولها، ويجعلون منها مادة للتميع المؤذي في تقدير المسلمين لموقفهم من المعسكرات المختلفة، وموقف هذه

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث ١٩٩٠ صـ٢٢٥٢.

المعسكرات منهم. إن الحالة التي تصورها هذه الآيات هي حالة فئة من الناس قالوا: إنا نصارى، هم أقرب مودة للذين آمنوا (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) فمنهم من يعرفون حقيقة دين النصارى فلا يستكبرون على الحق حين يتبين لهم».

بينما يقول القرآن في الفريق الثاني في الآيات التي سبقتها:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٢- ٧٦].

و يعزز القرآن فكرة وجود فريق موحد من بين أهل الكتاب حتى وقت نزول القرآن فيقول المولى عز وجل في سورة البقرة: ﴿

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢] ولما كان المولى عز وجل قد توعد في آيات المائدة ٧٢ و٧٣ التي سبق ذكرها من كفروا به من النصارى بالعذاب الأليم فيصبح من المؤكد أن آية البقرة هذه تتحدث عن فريق آخر منهم مبشرة إياه بألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فيقول الدكتور الأطير بهذا الشأن:

«هذا يعني أن التوحيد المجرد كان لا يزال له أنصاره بين النصارى حتى زمن الإسلام، إذ لا يعقل أن يقصد بهذه البشارة كل فرقهم، وقد بلغ الخلاف بينهم أقصى آماده من التناقض والشقاق»(١).

في السنة النبوية المطهرة:

لم تخلُ السنة المطهرة من ذكر لوجود الموحدين حتى زمان النبي العدنان محمد بن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام، فقد ورد حديث في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد يخبر فيه المصطفى ﷺ عن مقت الله تعالى لأحوال أهل الأرض كلهم نتيجة كفرهم به وإشراكهم معه في العبادة آلهة أخرى في الفترة التي سبقت

(١) عقائد النصارى الموحدين، د. حسني يوسف الأطير دار الأنصار، القاهرة (عابدين)، ١٩٨٥.

رسالة النبي محمد ﷺ إلا بقايا من أهل الكتاب الذين بقوا على الحق حتى أرسله الله تعالى بالقرآن الكريم:

وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا...»(١).

يقول الإمام النووي شارحا قوْله ﷺ: «وَإِنَّ اللَّه تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْل الْأَرْض فَمَقَتَهُمْ عَرَبهمْ وَعَجَمهمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْل الْكِتَاب»

«الْمَقْت: أَشَدّ الْبُغْض، وَالْمُرَاد بِهَذَا الْمَقْت وَالنَّظَر مَا قَبْل بَعْثَة رَسُول اللَّه ﷺ وَالْمُرَاد بِبَقَايَا أَهْل الْكِتَاب الْبَاقُونَ عَلَى التَّمَسُّك بِدِينِهِمْ الْحَقّ مِنْ غَيْر تَبْدِيل».

(١) صحيح مسلم من كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها في باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ومسند الإمام أحمد في مسند الشاميين.

وسبحـان الله العظيم فهكذا نظروا لأنفسهم «بقـايا من أهل الكتاب» يقول موريس وايلز عن الآريوسيين في غرب أوروبا:

«عزل الآريوسيين للعيش في مجتمـعات منفصلة ومهمشة، ويكشف الكاتب عن خصائص عقلية هؤلاء المرحلين للعـيش في جيتو ويواسون أنفسهم على سوء حظهم الاجتماعي بالنظر إلى أنفسهم على أنهم بقايا المؤمنين في عالم معادي»(١).

من أقوال الصحابة:

- قال عـروة بن الزبير تعليقـا على الآية الكريمة ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾:

«ضيعت النصارى الإنجيل وأدخلوا فيه ما ليس منه، وكانوا أربعة نفر الذين غيروه، لوقاس ومرقوس ويوحنس ومتيوس، وبقى قسيس على الحق وعلى الاستـقـامة، فـمن كـان على دينه وهديه فـهـو قسيس»(٢).

---

(١) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكـفورد ١٩٩٦ صـ ٤٠.
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث ١٩٩٠صـ٢٢٨٤.

● وتروي كتب التاريخ والسير[1] أن بعض نصارى البربر من شمال إفريقيا ذهبوا إلى عمرو بن العاص يطلبون الدخول في الإسلام قبل فتح مصر، يذكر الدكتور حسين مؤنس مشيرا لموقف عمر بن الخطاب منهم وبكائه بعد أن تذكر وصف رسول الله لأحوالهم والذي سجله الشطيبي في مخطوطة نادرة موجودة بدار الكتب المصرية:

«بل أن الشطيبي يروي في كتاب الجمان في أخبار الزمان رواية تدل على أن بربر برقة لم يكتفوا بهذا الخضوع السريع للعرب، وإنما أرسلوا رسلا منهم إلى الفاتح العربي يعرضون عليه الدخول في الإسلام على يديه، فاستطاع عمرو بن العاص أن يفهم ما يريدون بواسطة مترجم نقل إليه كلامهم فأرسلهم إلى عمر بن الخطاب، الذي رحب بهم أحسن ترحيب لأن أحد الحاضرين أخبره أنهم البربر أولاد بر بن قيس.

فلما سألهم عمر عن عاداتهم وعلاماتهم أخبروه بها، فبكى؛ لأن النبي ﷺ، كان قد تنبأ بفتح بلاد لأهلها هذه الصفات، ثم حمد الله على ذلك، وبعث إلى عمرو أن يقدمهم على الجند وحملهم بالهدايا». [3].

(١) كتاب الجمان في أخبار الزمان، لمحمد الشطيبي المغربي صـ١٢٣ نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

(٢) د. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة طبعة مكتبة الثقافة الدينية باقتباس من كتاب الجمان في أخبار الزمان للشطيبي.

من كتب التاريخ:

يعتمد البحث في إثبات وجود الأريوسيين بمصر وقت الفتح على مراجع تاريخية أهمها هو كتاب تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي[١] بنسختيه العربية[٢] والإنجليزية[٣] لذلك فإنه من المهم التأكيد على مصداقية هذا الكتاب، أولا، بالتأكد من عدم وجود مصلحة للكاتب في إثبات وجود النصارى الموحدين حتى زمن الفتح ويتحقق ذلك بإثبات انتماء الكاتب للنصارى المثلثة، ثانيا، التأكد من أمانة الترجمة ويتحقق ذلك بمراجعة الترجمة العربية التي قام بها مترجم مسلم[٤] بالترجمة الإنجليزية التي قام بها مترجم غير مسلم[٥]، ثالثا بالتحقق من مصادر موثوقة أن

(١) طبقا لكتاب تاريخ الأمة القبطية الحلقة الثانية (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر) صـ٤٧ لكامل صالح نخلة وفريد كامل عضوا لجنة التاريخ القبطي، نشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية: يوحنا النقيوسي كان أسقفا مصريا لأبرشية نقيوس (ابشاي بالمنوفية) في النصف الثاني في القرن السابع وكان مفتشا للأديرة و مديرا لها و كان كثير الإطلاع على صحف الأقدمين حاصلا على قسم موفور من المعارف الدينية والأدبية والتاريخية.

(٢) كتاب« تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي -رؤية قبطية للفتح الإسلامي» ترجمه من النسخة الحبشية د. صابر عبد الجليل، الناشر عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية.

(3) The Chronicle of John Bishop of Nikiu ،translated from Zotenberg?s Ethipoic text by ،printed by Williams and Norgate ،London 1916.

(٤) هو الدكتور عمر صابر خليل.

(٥) R.H.Charles.

الكاتب قد عاصر أحداث الفتح، ويتحقق ذلك من النظر في سيرته التي نشرتها عنه الكنيسة المصرية.

موقف أقباط مصر المسيحيين من كتاب تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي:

يذكر كتاب تاريخ الأمة القبطية[1] الذي تدرسه الكنيسة المصرية في مدارس الأحد كمرجع من مراجع تاريخ المسيحية في مصر في باب أشهر الرجال والحوادث منذ الفتح العربي:

«... ومن أهم مآثره (يوحنا النقيوسي) المؤلف الذي وضعه في تاريخ مصر باللغة القبطية ويعد من أفضل كتب التاريخ نظرا لاحتوائه آلاف الحوادث التي حدثت أيام الفتح العربي. ومنها ما حدث في أيامه وعلى مرأى منه. وقد وجد ما دونه به مطابقا لما كتبه كبار المؤرخين عن تاريخ مصر القديم. وقد ترجم هذا المؤلف النفيس من القبطية إلى اليونانية فالعربية فالحبشية ولكن لم تبق من تراجمه سوى النسخة الحبشية التي نقلها عن العربية الشماس غبريال المصري الراهب وكان قائدا للجيش الحبشي منذ ٣٠٠ سنة واهتم الدكتور زوتنبرج بنشر هذا التاريخ باللغتين الفرنسية والحبشية معا[2].

(١) كتاب تاريخ الأمة القبطية الحلقة الثانية (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر) صـ٤٧ لكامل صالح نخلة و فريد كامل عضوا لجنة التاريخ القبطي، نشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية سبتمبر ١٩٤٩.

(2) H. Zotenberg ،in the "Journal Asiatique"٧ ،th series ،vols. X ،XII، XIII (Paris ٤،(٧٩-١٨٧٧ ،La Chronique de Jean de Nikioû ،notice et =

وقد أشار الأسقف يوحنا النقيوسي عدة مرات لوجود الأريوسيين في مصر حتى دخول العرب الفاتحين بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص، مرات بالتصريح بلفظ الأريوسيين ومرات بذكر صفات لهم مثل من جحدوا العقيدة الأورثوذكسية وجعلوا المسيح مخلوقا.

إشارات صريحة بآريوسية بعض المصريين القبط وانتقامهم من الأقباط الأورثوذوكس:

«وظل عمرو رئيس جند المسلمين خارج حصن بابليون، وحاصر الجنود الذين كانوا به، وتسلموا رسالة من لدنه: ألا يقتلوهم، وأن يتركوا لهم عدة الحرب، وهي كثيرة. ثم أمرهم أن يخرجوا من الحصن، فأخذ هؤلاء قليلا من الذهب وساروا».

ثم يستطرد قائلا في الفقرة التالية: «وبهذا المنوال تسلم حصن بابليون بمصر في اليوم الثاني من (عيد) القيامة، وجزاهم الرب لأنهم لم يكرموا آلام الخلاص لسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي وهب الحياة لمن يؤمنون به. ولهذا جمعهم الرب بعدهم. وفي يوم عيد القيامة

= extraits" (also in bookform ،Paris(١٨٧٩ ،; later it was published in its entirety ،with a French version ،by the same scholar; "La Chronique de Jean de Nikioû" (Paris ،(1883). ،in "Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale" ،t. XXIV ،I ،pp. 125-605) (also separately ،Paris (1883).

المقدسة هذا أطلقوا المسجونين الأرثوذكسيين[١]، ولم يتركهم أعداء المسيح هؤلاء دون أذى، بل أساءوا إليهم وقطعوا أيديهم. وكان هؤلاء يبكون ودمعهم يسيل على وجناتهم، واحتقروهم في هذا اليوم كما هو مكتوب في شأن هؤلاء النجسين: أنهم لوثوا الكنيسة بالعقيدة النجسة وارتكبوا إلحاد وعصيان طائفة الأريوسيين[٢] بما لم يرتكب مثلهم جماعة الوثنيين والبربر[٣]، وانتقصوا عبيده ولم نجد من يصنع مثل هذا ممن يعبدون الأصنام الكذبة. وحلم الرب على المعتزلة والهراطقة الذين تعمدوا مرة ثانية بسبب الخضوع للملوك الأقوياء وهو الرب الذي يجازي الجميع، كل واحد بمثل عمله، ويقضي بالدينونة على من ظلم، فكيف حينئذ بالأكثر يحسن بنا أن نحلم على التدبير والدينونة التي يصنعونها بنا!! وكانوا هم يظنون أنهم يكرمون سيدنا المسيح بعملهم هذا ووجدوا هم ضالين بعقيدتهم، ولم يكونوا جاحدين لرئيسهم، بل كانوا يدينون الذين لم ينضموا إليهم في العقيدة. حاشا لله، إنهم لم

(١) الذين كانوا مسجونين في الحصن من قبل الرومان.

(٢) يلاحظ إطلاق عمرو بن العاص للأرثوذكس وادعاء يوحنا بأنهم عذبوا من قبل المصريين الأريوسيين وليس العرب، وفي ذلك إشارة لأنهم كانوا ينتقمون منهم لسبق اضطهادهم لهم لرفضهم عقيدة التثليث وقتل منهم الكثير على مر ٣٠٠ سنة منذ إقرار عقيدة التثليث في مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية.

(٣) يقصد الرومان عند دخولهم مصر وهم على عقيدة عبادة الأصنام وقبل اعتناقهم للمسيحية.

يكونوا عبيد المسيح، بل كانوا يظنون بأفكارهم أنهم هكذا»[1]. (انظر ملحق رقم ٢).

ونلحظ في النص أن يوحنا النقيوسي يتحدث عن ثلاث فئات من المسيحيين:

الفئة الأولى هم الرومان الكاثوليك الذين انهزموا أمام المسلمين:

«وجزاهم الرب لأنهم لم يكرموا آلام الخلاص لسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي وهب الحياة لمن يؤمنون به».

أما الفئة الثانية فهم المصريون الأورثوذوكس الذين سجنهم الرومان الكاثوليك وأطلق سراحهم المسلمون بمجرد تسلمهم حصن بابليون.

أما الفئة الثالثة فهم الموحدون الأريوسيون، الذين يصفهم تارة بمسماهم المستخدم في هذا الوقت وهو الآريوسيين، وتارة يصفهم بالملحدين والعصاة والنجسين ويتهمهم بتعذيب المصريين الأورثوذوكس وتقطيع أيديهم كما اتهمهم بتلويث الكنيسة بعقيدتهم النجسة.

«كما هو مكتوب في شأن هؤلاء النجسين: أنهم لوثوا الكنيسة بالعقيدة النجسة وارتكبوا إلحاد وعصيان طائفة الأريوسيين».

(١) كتاب تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، الباب الثاني والخمسون، وفي النسخة الإنجليزية الباب ١١٧.

نلحظ من قوله «حـاشا لله، إنهم لم يكونوا عبيد المسيح، بل كانوا يظنون بأفكارهم أنهم هكذا» أنه يـتكلم عن فئة نسـبت نفسـها للسـيد المسيح عليه السلام، ونتيجة أنه ينتمي لفـئة أخرى منافسة تنسب لنفسـها نفس الأمر ولكنها مخـالفة في العقيدة، فهو يعـيب على الفئة الأخرى ضلالها الفكري.

عند المقـارنة بين النسـختين المـوجودتين لدينا مـن الكتاب، وجـدنا اختلافا بين العربية والإنجليزية في هذه الفقرة، فالنسخة العربية وصفت الأريوسيين بالمعتزلة والهراطقة، ولكـن في النسخة الإنجليزية موصوفين بالملاحدة والهراطقة[١].

ويلاحظ أيضا اختـلاف آخر بين النسخة العربية والنسـخة الإنجليزية في الفقرة التالية من النسخة العربية «ولم يكونوا جاحدين لرئيسهم، بل كانوا يدينون الذين لم ينضموا إليهم في العقيدة»، أما النسخة الإنجليزية ذكرت تلك الفـقرة على الشكل التالـي: «لم يكونوا ملحدين برغبـتهم لكنهم عذبوا هؤلاء الذين يخالفونهم في العقيدة»[٢].

(1) ?And God has been patient with the apostates and hereticsì..? Chronicle of John of Nikiu ،P.187.

(2) They did not indeed voluntarily apostatized، but they persecute those who agree not with them in faith? Chronicle of John of Nikiu ،P.187.

يوحنا النقيوسي يؤرخ التحاق فئة من المصريين لجيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص وقتالهم جنبا إلى جنب لفتح المدن المصرية حتى قبل فتح حصن بابليون:

«وعندما وصل هؤلاء المسلمون مع المصريون الذين جحدوا عقيدة المسيحية وانضموا إلى عقيدة هذا المفترس...»(١).

مما يدل على أن المصريين المسيحيين لم يكونوا فقط أورثوذوكس وكاثوليك، لأن الكاثوليك (الخلقدونيين) بالطبيعة سيميلون لأهل مذهبهم الرومان ولو كانوا أورثوذكس لذكرها صراحة لأنه يؤرخ تاريخهم لكنهم فئة ثالثة جحدت العقيدة المسيحية من وجهة نظره مثل التثليث وألوهية السيد المسيح عليه الصلاة والسلام وانضمت للمسلمين حتى قبل قتالهم الرومان وانتصارهم عليهم وفتح حصن بابليون، وفي ذلك مجازفة شديدة لا يفعلها إلا قوم مخالفون في العقيدة ومضطهدون رأوا في عقيدة المسلمين شبها كبيرا مع عقيدتهم.

إشارات صريحة بانقسام المصريين إلى فريقين أحدهما اختار الانضمام للمسلمين في حربهم للرومان:

«..... وكان بين أهل (الوجه) البحري خصومة شديدة، وانقسموا قسمين: قسما انضم إلى تيودور(٢)، وقسما آخر أراد أن ينضم إلى

(١) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، الباب التاسع والأربعون صـ١٩٨.

(٢) القائد الروماني.

المسلمين، وفي الحال نهض قسم على آخر ونهبوا أموالهم وأحرقوا بلادهم بالنار. . . »[١].

الخصومة الشديدة ونهوض قسم على آخر ونهب الأموال وحرق المدن، كل ذلك يذكرنا بأحداث الفتنة الطائفية في الزاوية الحمراء والكشح، يتساءل المرء لماذا تكون هناك تلك الخصومة الشديدة بين أبناء الشعب المصري المسكين، الذي عانى من ويلات الاحتلال لعدة قرون، حيث احتل أرضه الرومان والفرس وها هم العرب قادمون، ألم يكن الأولى بالمصريين أن يتوحدوا في الشدائد ويعاونوا بعضهم بدلا من هذه الأحداث الفظيعة، من نهب وقتل وحرق بمجرد دخول محتل جديد فلابد وأن بين أبناء هذا الوطن شق عميق، ولابد وأن فريقًا قام ينتقم من فريق آخر استغل وجود تقارب عقائدي بينه وبين المحتل مثل عقيدة التثليث التي اشترك فيها المصريين الأورثوذوكس والرومان الكاثوليك على حد سواء ليضطهد الفريق الأخر من المصريين الأريوسيين الموحدين ويمارس ضده أبشع وسائل التطهير العرقي، لذلك لما وجد الأريوسيون غازيا جديدا لمصر يتفق معهم في العقيدة[٢] أحسوا بالقوة وربما مارسوا أيضا اضطهادا وتعذيبا للأورثوذوكس لا يمكن التحقق من صحته لأن المصدر الوحيد الذي يذكره هو كتاب يوحنا النقيوسي، أحد رموز

(١) المرجع السابق الباب الرابع و الخمسون.

(٢) أن المسيح مخلوق.

الكنيسة الأورثوذكسية مما يجعل هناك تضاربا كبيرا في المصالح يجعلنا نضع اضطهاد الأريوسيين للأورثوذوكس موضع الشك حتى يثبت من مصدر محايد.

وعن الفتنة الطائفية بين الموحدين والمثلثة يذكر هيوبرت جدين:

«بعد وقت قصير من دخوله إلى العاصمة الشرقية نيكوميديا[١]، علم قسطنطين[٢] أن المجتمع المسيحي في الشرق، مثل كنيسة شمال أفريقيا، تقطع بسبب فتنة وصلت بالفعل لحد خطير. وصفها يوسوبياس[٣] بالنيران العظيمة، والتي بدأت في الأسكندرية[٤]، ومنها خرجت إلى أنحاء مصر، وليبيا المجاورة، ومقاطعات شرقية أخرى، وقسمت الأساقفة والعامة إلى معسكرين، وقام كل معسكر بمهاجمة

(١) حاليا مدينة إزميت بتركيا، وكانت عاصمة للأمبراطورية الرومانية الشرقية منذ عام ٢٨٦ م في عهد الإمبراطور ديقولتيان حتى أعلن قسطنطين العظيم نقل العاصمة لمدينته الجديدة القسطنطينية عام ٣٣٠م.

(٢) قسطنطين العظيم، أحد أهم حكام الدولة البيرنطية وأول من تنصر منهم ولكنه تعمد على عقيدة التوحيد (الأريوسية) بواسطة الأسقف يوسوبياس عام ٣٣٦ م ليوجه بذلك أكبر ضربة للمثلثة.

(٣) زميل آريوس في الدراسة على العلامة لوسيان، وشريك آريوس في عقيدة خلق المسيح، كان أسقفا لبيروت ثم صار أسقف عاصمة الدولة البيزنطية عام ٣٣٦م.

(٤) مدينة شمال مصر وأحد أهم المدن في التاريخ المسيحي حيث منها بدأ آريوس دعوته للبقاء على التوحيد وعدم تأليه المسيح.

الأخر بضراوة حتى أصبحت «أخوة المسيحيين» موضع سخرية الأعمال المسرحية الوثنية»(١).

إشارات صريحة إلى دخول الأريسيين في الإسلام فورا بعد الفتح:

يشير المثلثة دائما للأريسيين بالملاحدة أو بالهراطقة وهي لعبة طفولية قديمة، إذ يقول الطفل للآخر «أنا سميتكم هراطقة أولا، إذا أنتم الهراطقة»، وهكذا للأسف -أو لحسن الحظ إذ أنه في صالح البحث- فعل يوحنا النقيوسي في آخر الباب السادس والخمسون عندما أشار لدخول الأريسيين في الإسلام وتطاول الكاتب على رسول الله ﷺ بلفظ لا يدل إلا على حقد من كتبه وإن كنا نتمنى أن يكون مدسوسا عليه من المترجم الذي ترجم النسخة القبطية للغة الحبشية وهي أقدم مخطوط من الكتاب حاليا:

«والآن، كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة وأنكروا العقيدة المقدسة الأورثوذكسية والمعمودية الحية، وساروا في عقيدة الإسلام أعداء الرب وقبلوا التعليم الركس للحيوان الذي هو محمد»(٢).

(١) هيوبرت جدين، الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة، نيويورك ١٩٩٣ص١٧١.
(٢) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي النسخة الإنجليزية ص٢٠١ وسامحنا الله لمجرد ذكر هذا التطاول على خير خلق الله.

ثم يستطرد يوحنا النقيوسي واصفا الهراطقة بالملاحدة بقوله:

«والآن نمجد ربنا يسوع ونبارك اسمه المقدس في كل وقت، لأنه نجانا نحن المسيحيين من ظلال الوثنيين الضالين ومن عصيان الملاحدة[١] الهراطقة حتى هذه الساعات»[٢].

ولا يضيع يوحنا النقيوسي الفرصة ليرجع سبب الفيضانات والبراكين وخسوف الشمس وهلاك الناس بل وسقوط الدولة الرومانية إلى الخلاف مع العقيدة الأورثوذكسية سواء من قبل الذين قسموا المسيح إلى طبيعتين[٣] وإلى وجود الموحدين الأريوسيين الذين اعتبروه مخلوقا:

«تم هذا الكتاب الذي وضعه يوحنا المدبر[٤] مطران مدينة نقيوس إفادة للنفس. وتضمن الأسرار الإلهية والعجائب العالية التي أصابت منكري الإيمان في وقت تزلزلت الأرض بسبب إنكاره وهلكت نيقية المدينة العظيمة، وسقطت النار من السماء، وفي وقت أظلمت الشمس من ساعات الصباح حتى المساء، وفي وقت ارتفعت الأنهار وأغرقت قرى كثيرة، وفي وقت تهدمت البيوت وهلك ناس كثيرون وسقطوا في

(١) الهراطقة العصاة في النسخة العربية من تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي صـ٢٢٢.

(٢) نفس المرجع السابق تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي النسخة الإنجليزية صـ٢٠١.

(٣) إشارة للمثلثة الكاثوليك الذين اعتنقوا عقيدة الطبيعتين للمسيح بعد مجمع خلقدونيا عام ٤٥١ م.

(٤) كان مديرا لتفتيش الأديرة.

عمق الأرض، وهذا كله بسبب أنهم قسموا المسيح إلى طبيعتين[١]، وجعله بعضهم مخلوقًا[٢]. وزال تاج المملكة عن ملوك الروم وتسلط عليهم الإسماعيليون والفوزيون، لأنهم لم يسيروا بالإيمان الحق بسيدنا يسوع المسيح، وقسموا ما لا ينقسم»[٣].

❁❁❁

(١) إشارة للمثلثة الكاثوليك الذين اعتنقوا عقيدة الطبيعتين للمسيح بعد مجمع خلقدونيا عام ٤٥١ م.

(٢) إشارة للأريسيين.

(٣) أوردت النسخة العربية هذه الفقرة على أنها خاتمة الكتاب كتلها المترجم الحبشي بينما النسخة الإنجليزية أوردتها على أنها من كلام يوحنا النقيوسي كما هو مبين في ملحق رقم ٣.

الفصل الخامس

اهتمام النبي ﷺ بأمر الأريسيين

بعد أن أثبتنا فيما سبق وجود موافقة عقيدة الأريوسيين لعقيدة الإسلام، وتعرضهم للاضطهاد والتعذيب والقتل مما يعرضهم للفتنة في دينهم، وبعد أن أثبتنا وجود الأريوسيين في الدولة البيزنطية الرومانية حتى وقت النبي ﷺ والفتوح الإسلامية فيما بعد، نثبت في هذا الفصل اهتمام النبي ﷺ بأوضاعهم وشعوره بمسئوليته تجاه نجدتهم.

في الوقت الذي كان الأريوسون يلقون للسباع أحياء ويجلدون بالآلات الحادة التي تصفي الدم من أجسامهم ويذبحون كالخراف في أنحاء الدولة الرومانية من شرقها إلى غربها -كما سبق ذكره- كانت رحى الحرب تدور بين إخوانهم المسلمين بقيادة خاتم الأنبياء وبين القبائل الوثنية من عبدة الأصنام في الجزيرة العربية.

فوجئ المسلمون بقبول النبي لصلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة بالرغم من الشروط المجحفة، التي رأى فيها المسلمون إهانة لهم وإذلالا، لا حاجة لهم به، إذ نصت المعاهدة على عدم رد المشركين لمن يأتيهم من عند النبي مرتدا عن الإسلام بينما يلتزم النبي ﷺ برد كل من يأتيه من عند قريش مسلما[1]، حتى كاد يجن جنون الكثيرين من الصحابة خاصة بعد إعادة أبي جندل الذي جاء مؤمنا لقريش مرة أخرى

(١) السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل بيروت سنة ١٩٨٧ جـ٤ صـ٢٠٣.

وكون الصحابة منهم مجموعة معارضة للصلح ذهبت لمناقشة رسول الله في أمره، يذكر الصلابي:

«بعد حادثة أبي جندل المؤلمة المؤثرة عاد الصحابة إلى تجديد المعارضة للصلح، وذهبت مجموعة منهم إلى رسول الله ﷺ بينهم عمر بن الخطاب لمراجعته وإعلان معارضتهم مجددا للصلح إلا أن النبي بما أعطاه الله تعالى من صبر وحكمة وحلم وقوة حجة استطاع أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح وأنه في صالح المسلمين ونصر لهم»(١).

ثم بمجرد تأمين جبهة الجزيرة العربية نسبيا بعد صلح الحديبية في السنة السادسة بعد الهجرة، أرسل النبي ﷺ رسله بكتب يدعو بها ملوك العالم وحكامه، وكان من بينهم ثلاثة من الحكام المسيحيين، هم هرقل الروم والمقوقس حاكم مصر والنجاشي ملك الحبشة، ثم أرسل النبي ﷺ جيوشه لقتال المسيحيين من عرب وروم في دومة الجندل ثم مؤتة ثم في ذات السلاسل.

و قد سجلت كتب السيرة النبوية ذهاب المسلمين إلى الشام قبل الحديبية، حيث كان الأريسيون يعيشون تحت نير اضطهاد المسيحيين المثلثة، عربا وروما، ولم يفرق مثلثة هذه البلاد بينهم وبين الأريسين في

(١) الصلابي: السيرة النبوية دروس وعبر، طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة ص٣٨٧.

المعاملة، ولم يشفع لهم كونهم تجـارًا يحملون سلعا بين المدينة والشام، فآذوهم كثيرا.

اعتدى رجال من جذام ولخم على دحية الكلبي في السنة الخامسة للهجرة فأرسل لهم رسول الله ﷺ سرية زيد بن حارثة في حسمي.

اعتدت قبيلتا مذحج وقضاعة على زيد بن حارثة ورجال معه خرجوا للدعوة إلى الله في منطقة وادي القرى.

▭▭ أما بعد الحديبية فإن الصراع اتخذ شكلا أكثر دموية:

ضرب شرحـبيل بن عمرو الغـساني عنق الحارث بن عـمير الأزدي رسول رسول الله إلى حاكم بصرى بالشام التابع لحكم الروم[١].

أساء الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق استقبال رسل رسول الله وهدد بإعلان الحرب على المسلمين وغزو المدينة[٢].

قتل المسـيحيون العـرب الدعاة في منطقة ذات أطلاح الذين خـرجوا للدعوة إلى الإسلام في سرية تحت إمرة عمرو بن كعب الغفاري، والذي تحامل رغم جرحه ووصل جريحا إلى المدينة ليخبر النبي ﷺ[٣].

قتل مسيحيو الشام بتشجيع من الروم كل من يعتنق الإسلام من أهل البلاد وكانت أشـهر تلك الحالات، حالة قتل فروة بن عـمرو الجذامي

(١) عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمـون و الروم في عصر النبوة صـ٨٧ نقلا عن الصلابي صـ٤٥٧.

(٢) المرجع السابق صـ٤٥٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣ ـ ١٠٣.

والي معان الذي أسلم وصلبوه على ماء يقال له عفراء بفلسطين[١] وقتل والي الشام من أسلم من عرب الشام[٢].

أرسل النبي ﷺ رسالة لهرقل الروم التي أرسلها مع الصحابي الجليل دحية الكلبي، محذرًا إياه من استمرار اضطهاد النصارى الموحدين مسميا إياهم بالأريسيين كما كانوا يلقبوا في ذلك الوقت كما أثبت البحث.

نص الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم- من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم -سلام على من اتبع الهدى- أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام:

أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين-فإن توليت فعليك إثم الأريسيين- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.



(١) السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل بيروت سنة ١٩٨٧ جـ٤ صـ١٧٦.

(٢) الصراع مع الصليبيين لأبي فارس صـ٢٠ نقلا عن الصلابي صـ٤٥٧.

نص رسالة النبي ﷺ للمقوقس حاكم مصر من قبل هرقل الروم مع الصحابي الجليل حاطب بن أبى بلتعة محذرا إياه من استمرار اضطهاد القبط:

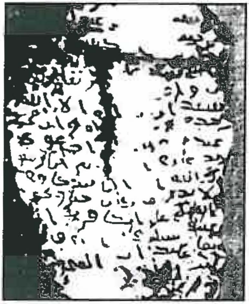
«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى وأما بعد فاني ادعوك بدعاية الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابا من دون الله فإن توليت فعليك اثم القبط. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].



وبعث النبي ﷺ بهذه برسالة مع عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى الأصحم ملك الحبشة الملقب بالنجاشي، وكان ذلك في شهر المحرم سنة سبع للهجرة وهذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة.

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفرٌ من المسلمين، فإذا جاءوك فأقرهم ودعِ التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجلّ. وبلّغت ونصحتُ فاقبلوا نصيحتي. . والسلام على من اتبع الهدى».



ويلاحظ عدم تحميل النبي ﷺ ملك الحبشة إثم أحد مثلما فعل مع هرقل والمقوقس إذ حملهما إثم الأريسيين وإثم القبط، كما لم يسجل التاريخ ذهاب أي جيش مسلم للحبشة التي كان ينعم الناس فيها بحرية الاعتقاد.

قال بعض العلماء[١] إن قول النبي في خطاباته للملوك «فعليك إثم....» أنه إثم أمام الله لأن الناس على دين ملوكهم دون دليل قوي على ذلك، بينما يمكن أن نعتبر هذا المعنى يتعدى ذلك إلى الإنذار وتحميله مسئولية اضطهاد الموحدين والجرائم التي ارتكبت بحقهم لن يسكت المسلمون عليها؟

وذهب العلامة أبو الحسن الندوي إلى أن المراد بالأريسيين هم أتباع (أريوس) المصري وهو مؤسس فرقة مسيحية كان لها دور كبير في تاريخ العقائد المسيحية والإصلاح الديني، وقد شغلت الدولة البيزنطية والكنيسة المسيحية زمنًا طويلاً، و(أريوس) هو الذي نادى بالتوحيد، والتمييز بين الخالق والمخلوق والأب والابن على حد تعبير المسيحيين، لعدة قرون[٢].

ويؤيد الدكتور معروف الدواليبي في الأريسيين، ما قاله الندوي أن النبي - ﷺ - إنما عني بقوله: فإن توليت عليك إثم (اليريسيين) أتباع أريوس الفرق المسيحية الوحيدة القائلة ببشرية المسيح النافية لألوهيته[٣].

(١) مثل الدكتور يوسف القرضاوي في مقالة الفتوحات الإسلامية ـ حقائق وشبهات المنشورة على موقعه الرسمي www.qaradawi.net.

(٢) السيرة النبوية للندوي، الدوحة ١٩٨٠ صـ٣٠٨.

(٣) رسالة نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية للدواليبي، ص٦٨- ٨٣.

وقد تحدث الإمام أبو جعفر الطحاوي عن هذه الفرقة فقال: وقد ذكر بعض أهل المعرفة بهذه المعاني أن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية، توحد الله، وتعترف بعبودية المسيح له - عز وجل -، ولا تقول شيئًا مما يقول النصارى في ربوبيته وتؤمن بنبوته، فإنها تمسك بدين المسيح مؤمنة بما في إنجيله، جاحدة لما يقوله النصارى سوى ذلك، وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يقال لهذه الفرقة (الأريسيون) في الرفع، (الأريسيين) في النصب والجر، كما ذهب إليه أصحاب الحديث)[1].

أصل تسمية الأريسيين:

لم يختر الموحدون المسلمون من أتباع عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لأنفسهم اسم الأريسيين ولكن كان أول من أطلقه عليهم هو عدوهم اللدود وأكبر المدافعين عن عقيدة نيقية التي تدعو للثالوث المقدس أثناسيوس رئيس كنيسة الأسكندرية بغية إضفاء صفة المبتدعة عليهم بجعلهم أتباع آريوس لا أتباع السيد المسيح ليوحي للعوام أن المسيحيون هم أتباع المسيح الحقيقيون بينما الآريوسيين هم أتباع آريوس وليس المسيح، ليصير العالم المسيحي منقسما إلى مسيحيين وآريوسيين، وأطلقت كتب الكنيسة على مر التاريخ لفظ «بدعة آريوس» على عقيدة التوحيد تنفيرا للناس منها، بينما رأى الموحدون أنفسهم أتباعا للمسيح لا لأريوس وعن هذا الموضوع يذكر موريس وايلز:

(١) انظر مشكل الآثار للإمام أبو جعفر الطحاوي.

«كلمة آريوسي، مثل كلمة مسيحي، لم تكن أبدا وصفا من اختيار من وصفوا بها، بل كانت وصفا من قبل الخصوم المعادين، وعلى عكس وصف مسيحي، لم يتقبل الموصوفون بالأريوسيين أبدا هذا الوصف، بل كان المسيح في قلب عقيدة وتدين شعب الكنيسة في العصور الأولى، ولكن عندما قال أثناسيوس عن الأريسيين «أريوس حل عندهم محل المسيح»[(١)] شوه خطابه الحقيقة تشويها أبعد ما يكون عن معايير المشكلة الجدلية التي قامت في القرن الرابع، لم يكن آريوس أبدا محورا لاهتمام من وصفوا باسمه»[(٢)].

انتشر مسمى الأريسيين على مرحلتين، الأولى كانت محلية وليست عالمية بعد هجوم أثناسيوس عليهم وإطلاقه المسمى على أتباع آريوس من قساوسة وشعب كنيسة الأسكندرية والذين حاولوا بدورهم إقصائه من الكنيسة وأطلق في هذا الوقت على مؤيديهم في العالم دائرة يوسبياس نسبة لرئيس كنيسة القسطنطينية يوسبياس، بينما في المرحلة الثانية انتقل المسمى من المحلية بالإسكندرية للعالمية فأطلق على النصارى الموحدين بصفة عامة عندما قويت شوكتهم ونجحوا في نفي أثناسيوس وإقصائه عن الكنيسة ويفصل موريس وايلز قائلا:

(١) خطاب أثناسيوس «في مواجهة الأريوسيين»، Athnasius . Contra Arions

(٢) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـ٦.

«استخدام وصف» الأريوسيين «تطور ليغطي كل من حملوا تلك الرؤية العقائدية بصفة عامة على مرحلتين، المرحلة الأولى كانت عندما استخدم أثناسيوس هذا الوصف ليشير للمحرومين من الكنيسة مع آريوس في الأسكندرية والذين قاموا بدورهم بمحاولة إقصاء أثناسيوس وأتباعه من الكنيسة، فكان الوصف في هذا الوقت له مغزى محليا عندما كان الهدف الأصلي هو تعيين هؤلاء المناصرين لأريوس نفسه، بينما سمي مناصريهم في الخارج بدائرة يوسبياس، كشركائهم الذين لطخوا بنفس الهرطقة، وعندما اشتد النزاع وعانى أثناسيوس من رد الفعل بنفيه، لم يكن مد الوصف إلى كل معارضيه محتاجا لخطوة كبيرة»[١].

وكان إطلاق وصف الأريوسيين في صالح معسكر التثليث بقيادة أثناسيوس بسبب حرمان آريوس كنسيا فصار الوصف يحمل تجريما للموصوفين به بينما لم يكن الموصوفون بالأريوسية في الحقيقة تلاميذا لآريوس يقول وايلز:

«قليلون منهم كانوا قريبين من آريوس أو حتى تأثروا بتعاليمه، ولكن باءت كل محاولاتهم لإحتواء الأضرار الناجمة عن هذا الوصف غير المبرر بالفشل، حتى أنه عند تجريد بعض الأساقفة من رتبتهم الكنسية في مجمع أنطاكية عام ٣٤١م كتبوا للبابا يوليوس «كيف يمكن أن نكون أتباعا لأريوس وهو قس بينما نحن أساقفة» ولكن باءت كل محاولات

(١) الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز. أوكسفورد ١٩٩٦ صـ٧.

الاحتجاج على الوصف بالأريوسيين بالفشل وكان أثناسيوس هو المنتصر في معركة الاسم»[١].

ولطالما حاول الموحدون الموصوفون بالأريسيين التنصل من الاسم بإنكار صلتهم أو حتى معرفتهم المسبقة بآريوس أو بتعاليمه مع تمسكهم بالدفاع عن عقيدتهم كونها في نظرهم تمثل العقيدة الصافية التي جاء بها السيد المسيح وعلمها تلاميذه مؤسسي الكنيسة الأولى وأبرز مثال على ذلك رفض أوكسنتيوس Auxentius أسقف ميلانو للوصف الذي وصف به كأريوسي من قبل هيلاري[٢] وإنكاره أي صلة أو معرفة بآريوس قائلا إنه حين بدأ مشواره ككاهن في كنيسة الإسكندرية تحت قيادة الأسقف جورج (الأريوسي) لم يكن يعرف آريوس وقال: «لم أعرف آريوس أو حتى رأته عيناي بل لا أعرف تعاليمه»[٣].

سبب استعمال النبي اسم الأريسيين عند خطابه لهرقل بينما سماهم أصحاب عيسى بن مريم عندما تكلم عنهم للصحابة:

أطلق الرومان مسمى الأريسيين ARIANS على كل من يتبع عقيدة التوحيد وإن لم يكن من أتباع القس آريوس أسقف الإسكندرية لأنه

(١) نفس المرجع السابق صـ٧.

(٢) تذكر الموسوعة الكاثوليكية طبعة ١٩١٠ م بالمجلد السابع أن هيلاري أسقف مدينة بواتيه غرب فرنسا وأحد أهم خصوم الأريسيين حتى لقب بأثناسيوس الغرب، ولد عام ٣٠٠ وتوفي عام ٣٦٨.

(٣) الأسقف هانسون، البحث عن عقيدة الألوهية في المسيحية، أدنبره ١٩٨٨ صـ١٢٣.

كان أشهر وأول من وقف في وجه عقيدة التثليث بشكل حازم لدرجة اضطرت الرومان والمثلثة لعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية.

ومن المعروف هو وجود مجموعات كثيرة من الموحدين مثل قبائل البربر في شمال إفريقية المعروفة بالوندال، وأتباع ميليتيوس Melitius في صعيد مصر، والقبائل الجرمانية في شرق وغرب أوروبا بقيادة القس يولفيلاس ULFILAS والذين اتهموا بالهرطقة وأطلق عليهم جميعا اسم الأريوسيين.

بينما سماهم رسول الله ﷺ في كلامه لصحابته أصحاب عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام تارة وبقايا من أهل الكتاب تارة أخرى.

روى إسحاق وأحمد بن منيع عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا وإن السلطان والكتاب سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء، إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم! قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى بن مريم.. حملوا على الخشب ونشروا بالمناشير! موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله!!»(١).

(١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر تحقيق الأعظمي، ٤: ٢٦٧-٢٦٨.

ونلاحظ مخاطبة النبي ﷺ لهرقل الروم بما يفهم فحمله إثم الأريسيين الموجودين بكل أنحاء الإمبراطورية بينما في خطابه للمقوقس حاكم مصر حمله إثم المصريين فقط من بينهم فقال: «فعليك إثم القبط».

حث القرآن على نصرة المظلومين:

حث القرآن الكريم على نصرة المظلومين والمضطهدين في مواضع عديدة منه بل ويجعل القتال لنصرتهم واجبا على المسلمين كما نرى في آيات سورة النساء التي تلوم المسلمين إن لم يقتالوا لنصرة المستضعفين:

﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

وسمى القرآن الكريم الاضطهاد الديني بالفتنة وأجاز القتال لدرء الفتنة حتى في الأشهر الحرم:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

يذكر سيد قطب في هذه الآية:

«نزلت تقرر حرمة الشهر الحرام وتقرر أن القتال فيه كبيرة، نعم. ولكن وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل، إن المسلمين لم يبدأوا القتال ولم يبدأوا العدوان، إنما هم المشركون هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله والكفر به وبالمسجد الحرام، لقد صنعوا كل كبيرة لصد الناس عن سبيل الله ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون، ولقد كفروا بالمسجد الحرام انتهكوا حرمته -فآذوا المسلمين فيه وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة، وأخرجوا أهله منه وهو الحرم الذي جعله الله آمنا فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته، وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام وفتنة الناس عن دينهم أكبر عند الله من القتل، وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام، ووضح موقف المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات -الذي يتخذون منها ستارا حين يريدون وينتهكون قداستها حين يريدون، وكان على المسلمين أن يقاتلوهم أنى وجدوهم؛ لأنهم عادون باغون أشرار لا يرقبون حرمة ولا يتحرجون أمام قداسة وكان على المسلمين ألا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات التي لا احترام لها في نفوسهم ولا قداسة، لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل، وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد

ستار يحتمون خلفه لتشويه موقف الجماعة المسلمة وإظهارها بمظهر المعتدي، وهم المعتدون ابتداء، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء»

مشيرا لأهمية الجهاد من أجل درء الفتنة والاضطهاد ولو كان ذلك في الشهر الحرام الذي لا يصح فيه القتال، لأن حماية حرية العقيدة تأتي في مقدمة أولويات المسلم دائما.

و بين القرآن الكريم أن الجهاد مطلوب لحماية حرية إقامة الشعائر وتأمين العباد في صوامعهم ومعابدهم وكنائسهم:

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

قال الضحاك:

«الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب»(١).

أي أن المسلم مطالب بحفظ الأمن وضمان حرية العقيدة حتى يختار كل فرد ما يراه حقا.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض، سنة ١٩٩٩ صـ١٦٥.

كمـا حثت الـسنة الـنبوية على تعـاون المـسلمين ونجدة ضـعيـفهم فيقـول المعصوم ﷺ: «المؤمن للمؤمن كـالبنيان يشـد بعضه بعـضا ثم شبك بين أصابعه»[١].

«المسلم أخو المسلم لا يظلمـه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخـيه كان الله في حاجتـه، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عـنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[٢].

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٣].

وتأسـيسـا على ما سـبق أن أثبتنا من أن وصـف المسلم ينطبق على النصارى الموحدين ومـنهم الأريسيون الذين تعرضوا للـفتنة والاضطهاد والقـتل ومـصادرة كنائسـهم وعـزلهم من وظائفـهم من قـبل المؤمنين بالثـالوث من الرومـان وغيـرهم على وجه سـواء، وطالما أنهم كـانوا موجـودون في البلاد المجـاورة للجزيرة العـربية وفي ظل حـث القرآن الكريم والسنة النبوية للمـسلمين لنجدة إخوانهم، فإن من الـطبيعي أن يخرج المسلمون من أصـحاب محمد لنجـدة إخوانهم من المسلمين من أصحاب عيسى بن مريم عليهما أفضل صلوات الله وسلامه.

(٢) صحيح البخاري، دار الشعب سنة ١٩٥٨ ج ٨ صـ ١٤.
(٣) صحيح البخاري، دار الشعب سنة ١٩٥٨ ج ٣ صـ ١٦٨.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة سنة ١٩٩٦ ج ٦ صـ ١٤٠.

نتائج البحث

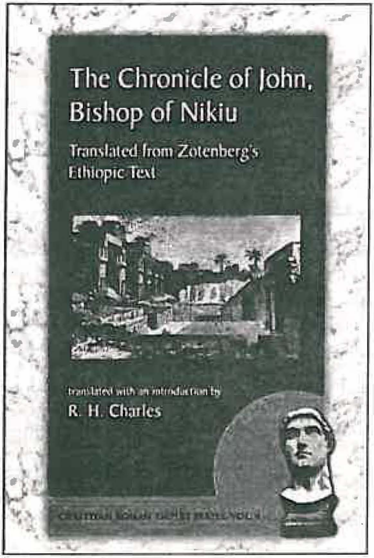
١- انطباق وصف المسلمين على فرق النصارى الموحدين ومنهم الأريسيون.

٢- إثبات استمرار وقوع الأريسيين تحت الاضطهاد الشديد حتي وقت الفتح الإسلامي فى مناطق مختلفة من الدولة الرومانية ومنها مصر.

٣- إثبات اهتمام النبي ﷺ والمسلمين من بعده بأمر الأريسيين.

٤- إثبات أن أحد دوافع المسلمين لفتح الأقاليم التي بها آريسيين ومنها مصر هو الدفاع عن النفس، إذ هب المسلمون من أصحاب محمد بن عبد الله لنجدة إخوانهم من المسلمين من أصحاب عيسى بن مريم عليهما أفضل صلوات الله وسلامه.

٥- إثبات أن مسلمي مصر هم الإمتداد الطبيعي للآريسيين وليسوا في أغلبهم أحفاد العرب الذين وفدوا إلى مصر مع الفتح ولا أحفاد المسيحيين المؤمنين بالثالوث الذين تحولوا من المسيحية إلى الإسلام- ولا عيب في هذا ولا ذاك -و إنما كان الإسلام متجذرا في مصر حتى قبل الفتح.



ملحق رقم ١

صورة غلاف كتاب تاريخ مصر ليــوحنا النقيوسي الترجمة الإنجليزية طبعة ٢٠٠٧ ترجمة R.H. Charles من نسخة زوتنبرج الحبشية

ملحق رقم ٢

صورة من صفحة ١٨٦التي تبين وجود الأريسيين وانضمامهم للفاتحين العرب واضطهادهم للأورثوذوكس.

ملحق رقم ٣

صورة من صفحة ٢٠٢ التي يعزو فيها ضياع مصر ووقوعها في أيدي العرب بسبب ضلال الخلقدونيين (الذين يعتقدون بأن المسيح له طبيعتين) والأريسيين (أي من يؤمنوا أنه مخلوق).

The George Washington University
WASHINGTON DC

RELIGION DEPARTMENT

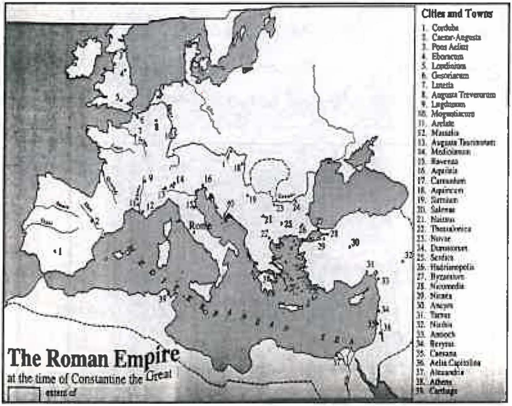
22 April 1992

FROM: Paul B. Duff
Assistant Professor of Religion
(Hebrew Scriptures, New Testament)

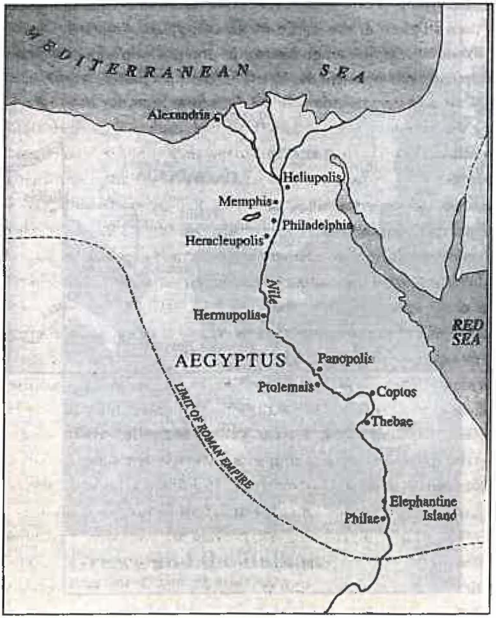
John 3:16 and John 1:18 each have the word *monogenēs* in Greek. This word ordinarily means "of a single kind". As a result, "unique" is a good translation. The reason you sometimes find a translation that renders the word as "only begotten" has to do with an ancient heresy within the church. In response to the Arian claim that Jesus was made but not begotten, Jerome (4th century) translated the Greek term *monogenēs* into Latin as *unigenitus* ("only begotten").

ملحق رقم ٤

فتوى د. بول داف لتوضيح موضوع إضافة كلمة «الابن المولود لله» على الإنجيل من قبل القـديس جيروم للقضاء عـلى بدعة آريوس القائلة بأن الابن مخلوق.



خريطة المدن الرئيسية في الدولة الرومانية في عهد قسطنطين العظيم



خريطة المدن الرئيسية بمصر في عهد قسطنطين العظيم



خريطة المدن الرئيسية بآسيا الصغرى في عهد قسطنطين العظيم



اليونان والبلقان في عهد قنسطنطين لعظيم

Letter of Arius to Eusebius of Nicomedia

Reference numbers	**Early Arian Document (Urkunde) 1** **AW III2 no. 15** **CPG 2025**
Incipit: Date: Source:	to? natp? s mou? mmwy? ou c.318 Theodoret ،Church History 1.5 (tLG)Also found in: Epiphanius ،Refutation of All Heresies 69.6
Notes	To compare this document with other lists of sympathizers with Arius ،see the Arian map.Å In paragraph 3 ،Arius claims that nearly "all those of the East" agree that the Father preexists the Son!

1- To that most beloved man of God ،the faithful and orthodox Eusebius ،from Arius ،unjustly persecuted by father Alexander because of the all-conquering truth which you، Eusebius ،also are defending!

2- Since my father Ammonius is going to Nicomedia ،it seemed reasonable and proper to greet you through him،

remembering at the same time the innate love and affection which you have for the brothers on account of God and his Christ ،because the bishop [Alexander] is severely ravaging and persecuting us and moving against us with every evil.Å Thus he drives us out of every city like godless men ،since we will not agree with his public statements: Åthat there was ?always a God ،always a Son;? ?as soon as the Father ،so soon the Son [existed];? ?with the Father co-exists the Son unbegotten ،ever-begotten ،begotten without begetting;? ?God neither precedes the Son in aspect or in a moment of time;? ?always a God ،always a Son ،the Son being from God himself.?

3- Since Eusebius ،your brother in Caesarea ،and Theodotus، and Paulinus ،and Athanasius ،and Gregory ،and Aetius and all those in the East say that God pre-exists the Son without a beginning ،they have been condemned ،except for Philogonius and Hellenicus and Macarius ،unlearned heretics some of whom say that the Son was ?spewed out? ،others that he was an ?emanation? ،still others that he was ?jointly unbegotten.?

4- We are not able to listen to these kinds of impieties ،even if the heretics threaten us with ten thousand deaths.Å But

what do we say and think and what have we previously taught and do we presently teach?Å -- that the Son is not unbegotten ،nor a part of an unbegotten entity in any way، nor from anything in existence ،but that he is subsisting in will and intention before time and before the ages ،full <of grace and truth ،God ،the only-begotten ،unchangeable.

5- ÅBefore he was begotten ،or created ،or defined ،or established ،he did not exist.Å For he was not unbegotten. Å But we are persecuted because we have said the Son has a beginning but God has no beginning.Å We are persecuted because of that and for saying he came from non-being.Å But we said this since he is not a portion of God nor of anything in existence.Å That is why we are persecuted; you know the rest.

I pray that you fare well in the Lord ،remembering our tribulations ،fellow-Lucianist ،truly-called Eusebius [i.e. the pious one].

Translation by GLT

Other translations in New Eusebius ،no. 283;Å NPNF2 vol. 3 ،p. 41; ? -٢6-8 in Hanson ،p. 139; ? 4-5 in Hanson، p. 6

نص رسالة من آريــوس إلى الأسقف يوسوبيــاس أسقف نيكومــيديا يخبره بأمر اضطهاد الأسقف إسكندر له ولزمــلائه بسبب معارضتهم له في أمر تأليه الســيد المسيح.

Fragment of a letter of Eusebius of Nicomedia to Arius:

Reference numbers	Early Arian Document (Urkunde) 2 (=AW III2 no. 16; CPG 2046)
Incipit:	πατρ? ςμου? μμω ν? ου
Date:	c. 318
Ancient source	Athanasius ،On the Synods 17 (TLG)

And Eusebius of Nicomedia in addition wrote thus to Arius:

Since you think properly ،pray that everyone will think that way.Å For it is clear to all that the thing which is made did not exist before it came into being; but rather what came into being has a beginning to its existence.

Translation by GLT

Other translations in Hanson ،p. 31; NPNF2 vol. 4 ،p. 459

جزء من رسالة أرسل بها يوسوبياس أسقف نيكوميديا لآريوس مؤيدا إياه وداعيا الله أن يتبع الناس جميعا معتقدات

Emperor Constantine to Alexander of Alexandria and Arius:

Reference numbers	Early Arian Document (Urkunde) 17 (=AW III2 no. 19; CPG 2020)
Incipit	κυ λ? ς ψρον? ν ε? χου π? ντας
Date	October 324
Ancient source used	Eusebius ،Life of Constantine 264-72 (TLG)
Other ancient source (paragraphs 6-15)	Socrates ،Church History 1.7; Gelasius ،Church History –٢4
Note on recipients	Stuart G. Hall argues that this letter was actually written to the Council of Antioch in 325 ،and that Eusebius ،who would rather forget that council ،changed the recipients in his account of the letter. 1- Parvis has critiqued his argument to say that

	the letter was certainly meant for a general audience of eastern bishops ،but not for the Council of Antioch specifically. 2- This could also explain how Eusebius has a copy. 1- Stuart G. Hall «،Some Constantinian Documents in the Vita Constantini «،Constantine: History and Historiography ،eds. Samuel N. C. Lieu and Dominic Montser-
	rat (New York 1998) ،pp. 86-104 2- Sarah Parvis (see Abbreviations page) p. 77 ،note 17-2

The Victor Constantine ،the Great Augustus ،to Alexander and Arius.

1- I call God to witness ،as is fitting ،who is the helper of my endeavors and the preserver of all men ،that I had a twofold reason for undertaking this duty which I have now performed. My design then was first to bring the various beliefs formed by all nations about God to a condition of

settled uniformity. Secondly I hoped to restore to health the civil liberties of the empire ،then suffering under the malignant power of a angry tyrant. Keeping these objects in view- ،sought to accomplish the one by thought ،which is hidden from the eye ،while the other I tried to rectify by the power of military authority. For I was aware that ،if I should succeed in establishing ،according to my hopes- ، common harmony of sentiment among all the servants of God ،the general course of affairs would also experience a change corresponding to the pious desires of all.

2- So when I found that an intolerable spirit of mad folly had overcome the whole of Africa ،through the influence of those who with heedless frivolity had presumed to divide the religion of the people into diverse sects- ،was anxious to stop the course of this disorder. After I had removed the common enemy of mankind [Licinius] who had interposed his lawless sentence which prohibited your holy synods، -could discover no other remedy equal to the occasion، except to send some of you churchmen to aid in restoring mutual harmony among the disputants.

3- I naturally believed that you in the East would be the first to promote the salvation of other nations ،since the power of Divine light and the law of sacred worship ،which proceeded in the first instance through the favor of God، from the bosom ،as it were ،of the East ،have illumined the world by their sacred radiance. So I resolved with all energy of thought and diligence of enquiry to seek your aid. As soon ،as I had secured my decisive victory and unquestioned triumph over my enemies ،my first enquiry was concerning that object which I felt to be of paramount interest and importance.

4- But- ،glorious Providence of God! How deep a wound did not my ears only ،but my very heart receive when it was reported that divisions existed among yourselves more grievous still than those which continued in that country [Africa ،i.e. the Donatist schism]! You ،through whose aid I had hoped to procure a remedy for the errors of others ،are in a state which needs healing even more than theirs. And yet ،now that I have made a careful enquiry into the origin and foundation of these differences- ،have

found the cause to be of a truly insignificant character، and quite unworthy of such fierce contention. I feel compelled to address you in this letter ،and to appeal at the same time to your unity and discernment. I call on Divine Providence to assist me in the task ،while I interrupt your dissension as a minister of peace.

5- I have hope for success: Even in a great disagreement I might expect with the help of the higher Power ،to be able without difficulty ،by a judicious appeal to the pious feelings of those who hear me ،to recall them to a better spirit. How can I help but to expect a far easier and more speedy resolution of this difference ،when the cause which hinders general harmony of sentiment is intrinsically trifling and of little importance?

6- I understand that the origin of the present controversy is this. When you ،Alexander ،demanded of the priests what opinion they each maintained respecting a certain passage in Scripture ،or rather– ،should say ،that you asked them something connected with an unprofitable question. You then ،Arius ،inconsiderately insisted on

what ought never to have been speculated about at all ، or if pondered ، should have been buried in profound silence. Hence it was that a dissension arose between you ، fellowship was withdrawn ، and the holy people were rent into diverse factions ، no longer preserving the unity of the one body.

7- And so I now ask you both to show an equal degree of consideration for the other ، and to receive the advice which your fellow-servant impartially gives. What then is this advice? It was wrong in the first instance to propose such questions as these ، and also wrong to reply to them when they were presented. (8.) For those points of discussion are not commanded by the authority of any law ، but are rather the product of an argumentative spirit which is encouraged by the idle useless talk of leisure. Even though they may be intended merely as an intellectual exercise ، they ought certainly to be confined to the region of our own thoughts ، and not hastily produced in the popular assemblies ، nor unadvisedly entrusted to the ears of the general public. For how very few are there able either accu-

rately to comprehend ، or adequately to explain subjects so sublime and difficult to comprehend in their nature? Or ، granting that one were fully competent for this ، how many people will he convince? Or again ، who in dealing with questions involving such subtle distinctions as these can be sure he is not dangerously departing from the truth in some point? We ourselves may be unable ، through the weakness of our natural abilities ، to give a clear explanation of the subject before us ، or ، on the other hand ، our hearers? understanding may prevent them from arriving at an accurate understanding of what we say. Lest that be the case ، it is our obligation to be sparing with our words ، so that neither of these situations will cause the people to be reduced either to blasphemy or to schism.

9- Now forgive one another for both the careless question and the ill-considered answer. The cause of your difference has not been any of the leading doctrines or precepts of the Divine law ، nor has any new heresy respecting the worship of God arisen among you. You are really of one and the same judgment; and so it is fitting for you to join in communion and fellowship.

10- As long as you continue to contend about these small and very insignificant questions ، it is not fitting that so large a portion of God?s people should be under the direction of your judgment ، since you are thus divided between yourselves. In my opinion ، it is not merely unbecoming ، but positively evil ، that such should be the case. Let me arouse your minds by the following little illustration. You know that philosophers ، though they all adhere to one system ، are yet frequently at issue on certain points ، and differ ، perhaps ، in their degree of knowledge. Yet they are brought back to harmony of opinion by the uniting power of their common teachings. If this be true ، is it not far more reasonable that you ، who are the ministers of the Supreme God ، should be of one mind in the profession of the same religion? Let us still more thoughtfully and with closer attention examine what I have said ، and see whether it be right: On the ground of some trifling and foolish verbal difference between ourselves ، should brothers assume towards each other the attitude of enemies? Should the honorable synod be torn in two by profane disunion ،

because of you who wrangle together on points so trivial and altogether unessential? This is vulgar ،and more characteristic of childish ignorance ،than consistent with the wisdom of priests and sensible men.

1-1 Let us withdraw ourselves with a good will from these temptations of the devil. Our great God and our common Savior has granted us all the same light. Permit me ،who am his servant ،to successfully bring my task to conclusion ،under the direction of his providence ،that I may be enabled ،through my exhortations ،diligence ،and earnest warning ،to recall his people to communion and fellowship.

2-1 You have ،as I said ،only one faith ،and one opinion about our religion ،and the Divine commandment in all its parts imposes upon us all the duty of maintaining a spirit of peace. Because of this ،you should not let the circumstance which has led to a slight difference between you cause any division or schism among you ،since it does not affect the validity of the whole.

3-1 I say this without in any way desiring to force you to a complete unity of judgment in regard to this truly idle question ، whatever its real nature may be. For the dignity of your synod can be preserved ، and the communion of your whole body can be maintained unbroken ، no matter how wide a difference exists among you about unimportant matters. We are not all like-minded on every subject ، nor is there such a thing as one universal disposition and judgment.

4-1 As far ، then ، as regards Divine Providence ، let there be one faith ، and one understanding among you ، one united judgment concerning God. But as to your subtle disputations on questions of little or no significance ، though you may be unable to harmonize in opinion ، such differences should be confined to the your own private minds and thoughts. And now ، let the preciousness of common affection ، let faith in the truth ، let the honor due to God and to the observance of his law remain immovably among you. Resume your mutual feelings of friendship ، love ، and respect. Restore to the people their customary

embraces; and you yourselves purify your souls ،as it were ،and once more acknowledge one another. For it often happens that when a reconciliation is effected by the removal of the causes of hostility ،friendship becomes even sweeter than it was before.

5-1 Restore me then my quiet days ،and untroubled nights، that the joy of undimmed light ،the delight of a tranquil life ،may be my portion from here on. Otherwise I will be forced to mourn with constant tears ،and I will not be able to pass the remainder of my days in peace. While the people of God ،whose fellow-servant I am ،are so divided among themselves by an unreasonable and wicked spirit of contention ،how is it possible that I shall be able to maintain a tranquil mind? And I will give you a proof how great my sorrow has been in this regard. Not long ago I visited Nicomedia ،and had intended to proceed immediately from that city to the East. It was while I was hurrying towards you ،and had already finished the greater part of the journey ،that the news of this matter

reversed my plan ،so that I would not be forced to see with my own eyes that which I felt myself scarcely able even to hear. So open for me by your unity of judgment that road to the regions of the. East which your dissensions have closed to me ،and permit me speedily to see you and all other peoples rejoicing together. Render due acknowledgment to God in the language of praise and thanksgiving for the restoration of general peace and liberty to all.

□□ خطاب من قسطنطين لآريوس وإسكندر أسقف الأسكندرية يلومهم على المشكلات التي سببها خلافهم حول السيد المسيح.

Emperor Constantine to Arius

Reference numbers	Early Arian Document (Urkunde) 29 (=AW III2 no. 33; CPG 2040)
Incipit	κυ λ? ς ψρον? ν ε? χου π? ντας
Date	27th Nov. 327
Ancient source	Socrates ،Church History 1.25.7 (TLG)

Constantine the Great Augustus ، to Arius.

It was made known to you in your stubbornness some time ago ، that you might want to come to our headquarters ، so that perhaps you could enjoy the privilege of seeing us. We are quite amazed that you did not do so immediately. Therefore ، now board a public (official) vehicle ، and hasten to come to our court. This way ، once you have been in our company and obtained favor from us ، you may be able to return to your own country. May God protect you ، beloved.

Dated the twenty-seventh of November.

□□ خطاب دعوة من قسطنطين لآريوس ليشرح له موقفه،

Part of an edict against Arius and his followers

Reference numbers	Early Arian Document (Urkunde) 33; AW III2 no. 28; CPG 2041
Incipit	Τοϑς πονηρους καIασεβεIς
Date	333
Ancient source used	Athanasius ، Defense of the Nicene Definition 39 (TLG)

Modern edition used	H.G. Opitz ،Athanasius Werke ،vol. 12 (Berlin: De Gruyter 1940)
Other ancient Greek sources	Socrates ،Church History –١9.30 and Gelasius ،Church History 2.36.1
Ancient Syriac sources	2 manuscripts: Brit. Mus. Add. 14.528 and Vatican Borg. Syr. 82
Modern edition of Syriac	Fredrich Schulthess ،?Die syrischen Kanones der Synoden von Nicaea bis Chalcedon.? Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen ،Philologisch-Historische Klasse N.F. 10 ،no. 2 (Berlin: Weidmannsche Buchhandlung ،1908) pp. 1-2

1- The great and victorious Constantine Augustus to the bishops and laity:

Since Arius is an imitator of the wicked and the ungodly، it is only right that he should suffer the same dishonor as they. Porphyry ،who was hostile to anyone who feared God ،composed a book which transgressed against our re-

ligion ، and has found a suitable reward: namely that he has been disgraced from that time onward ، his reputation is completely terrible ، and his ungodly writings have been destroyed. In the same way it seems appropriate that Arius and those of like mind with Arius should from now on be called Porphyrians ، so that their name is taken from those whose ways they have imitated. (-٢) In addition ، if any writing composed by Arius should be found ، it should be handed over to the flames ، so that not only will the wickedness of his teaching be obliterated ، but but nothing will be left even to remind anyone of him. And I hereby make a public order ، that if someone should be discovered to have hidden a writing composed by Arius ، and not to have immediately brought it forward and destroyed it by fire ، his penalty shall be death. As soon as he is discovered in this offense ، he shall be submitted for capital punishment.

And in another hand:

God will watch over you ، beloved brothers.

جزء من حكم صادر من قسطنطين بحـرق مؤلفات أريوس وقتل من يخفيها عنده.

تذييل

بقلم الدكتور/ محمد عمارة

على امتداد رسالات السماء إلى الأرض، وعبر كل النبوات والشرائع الإلهية، كان التوحيد والأحدية للذات الإلهية هو جوهر الدين الإلهى فى كل الشرائع والنبوات والرسالات.

لقد تعددت الشرائع بتعدد وتنوع واختلاف الأقوام.... ومراحل التاريخ.... والواقع الذى توالت عليه النبوات والرسالات... لكن ظلت:

- وحدانية الإله الخالق المعبود وأحديته.
- والإيمان بالغيب والحساب والجزاء.
- والعمل الصالح فى هذه الحياة الدنيا.

- هى أصول الإيمان الدينى فى كل الشرائع والنبوات والرسالات.. ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

- فبالتوحيد جاء أبو الأنبياء إبراهيم الخليل -عليه السلام ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥- ٧٧]. ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

- وبالتوحيد جاء كليم الله موسى - عليه السلام -: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]

- وبالتوحيد جاء المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام-: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

- وبالتوحيد جاء الرسول الخاتم محمد بن عبد الله -عليه الصلاة والسلام- الذى بلغ التوحيد فى دعوته ذروة التنزيه والتجريد، فالله الواحد الأحد ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وكل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك... وفى هذة الشريعة الخاتمة والخالدة كان الركن الأول ومفتاح الدخول الى الإسلام: «لا إله إلا الله»: ثورة تحرير لكل ملكات الإنسان وطاقاته من العبودية - أو التعظيم - لغير الله، أى ثورة عظمى لتحرير الإنسان بالتوحيد..

كما كانت عالمية الرسالة المحمدية ثورة لتوحيد للإنسان، مطلق الإنسان، و استخلاص وحدته من قيود العصبيات -عصبيات الألوان والأجناس والأقوام.. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١- ٤] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فالتوحيد هو مفتاح الإسلام.. وهو عنوان الإخلاص.. وهو الكلمة السواء التى يمكن أن تجمع المتدينين بمختلف الشرائع والرسالات.

لكن صراعا تاريخيا - شديدا وعنيفا- قد دار بين عقيدة التوحيد - التى زكتها الفطرة الإنسانية - والتى شهدت وتشهد لها وبها العقلانية المؤمنة -و بين الوثنية المركوزة فى طفولة العقل البشرى، تلك التى تنزع الى التجسيد والتجسيم. . والحلول، وتبتعد عن التوحيد والتنزيه والتجريد.

و كثيراً ما غالبت هذه النزعات الوثنية عقيدة التوحيد فغلبتها -أو على الأقل غبَّشت نقاءها وتنزيهها وتجريدها، وبالذات فى مراحل طفولة العقل البشرى، عندما كانت البشرية (خرافًا ضالة)، تطلب المعجزات المادية المحسوس، . وتميل إلى تجسيد المعبود فى المحسوسات والمجسمات.

نعم. . لقد غالبت هذه النزعة الوثنية المادية عقيدة التوحيد التى بشر بها موسى -عليه السلام -. . فعبد بنو إسرائيل -فى حياة موسى - العجل الذهبى. .بل وأشربوا فى قلوبهم تقديس هذا العجل الذهبى حتى الآن !. . ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وعندمـا دخل بنو إسرائيل أرض كـنعان -غـزاة- بقيـادة يوشع بن نون. . أتى عليـهم حين طويل من الدهر عـبدوا فـيه أصنام الكنعـانيين وأوثانهم من دون الله الواحد الأحد، الذى بشر به موسى عليه السلام.

وحتى عندمـا عاد التراث الدينى اليهـودى إلى التوحيد لله سـبحانه وتعالى شـابت هذا التوحيد -فى هذا التـراث -شوائب وثنية كـثيرة. . جسدت الإله وجسمته. . . وشابهت بينه وبين المخلوقات. . كما جعلوه إلها خاصـا ببنى إسرائيل من دون الشعوب الاخـرى، التى قالوا إن لها آلهـتهـا الأخـرى !. . فكان الله -عندهم -إله القـبـيلة. . وليس رب العالمين كما جاء فى شريعة موسى عليه السلام!.

كذلك حـدثت المغالبـة، وحدث الصـراع فيـما طرأ على التـعاليم النصرانية التى بشر بها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

فبعد نقاء عقيدة التوحيد التى دعا إليها المسيح. . ذهب بولس فطوع التوحيد لوثنية الرومان. . وجعلهم يحلون المسيح محل الله. . ويعبدونه من دون الله. . فحل محل أوثانهم وأباطرتـهم. . فكان تأليه المسيح. . وكـانت عبـادته بديلاً عن إفـراد الواحـد الأحـد بالعبـودية والربوبيـة والتـأليه. . حـتى لقد تفـوقت هذه الوثنية الجـديدة على وثنية الـشرك الجاهلى، التى كـانت تفرد الله بالخلق ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

﴿وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥] وتقف بالأوثان عند حدود» الوسائط.. والزلفى «التى تقرب إلى الخالق الواحد» ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

تفوقت هذه الوثنية الجديدة -التى عدت على التوحيد فى تراث النصرانية الرومانية عندما أحلوا المسيح محل الله، فقالوا عنه «إنه هو الله.. وهو فى ذاته هو الله.. وهو ذات الله.. وأنه خالق كل شيء،وبه كان كل شيء، وبدونه لم يكن شيء.. وأنه خالق الأشياء ومالكها.«بكل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان». يوحنا ١: ٣.» وهو الألف والياء، والأول والآخر» رؤيا يوحنا ١: ١١.

ولقد أصاب فيلسوف الإسلام وإمام المعتزلة، قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمدانى (٤١٥ هجريًا، ١٠٢٤ م) أصاب كبد الحقيقة عندما وصف هذا الإنقلاب الذى حدث على نصرانية المسيح عليه السلام فقال:

«إن النصرانية عندما دخلت روما لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هى التى ترومَّت» !.

ولأن التدافع بين الحق والباطل هو سنة من سنن الله -فى الكون.. والاجتماع.. والعقائد.. والأفكار ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فإن عقيدة التوحيد قد ظلت حية.. تجاهد لتغالب هذا الانقلاب الوثنى الذى غبَّش نقاءها وأخرجها -فى كثير من الأحيان- عن حقيقتها وجوهرها.

وفى هذا السياق.. سياق الدفاع عن نقاء التوحيد الدينى.. نقرأ مواقف وأفكارا وعقائد:

١ -الفرقة البوليانية:

أتباع بولس السمساطى -أسقف أنطاكية -فى القرن الثالث الميلادى.. تلك الفرقة التى رفضت تأليه المسيح -عليه السلام- وعبادته.. والتى أكدت على أن المسيح -فى طبيعته -إنسان عادى.. ولد من أسفل، ولم ينزل من السماء وليس له وجود أزلى سابق.

كما أنكرت تفسير «الكلمة» باللوغس - Logos أى بالتفسير الفلسفى الوثنى، الذى يجعل المسيح: كلمة الله.. عقل الله.. وقالوا: «إن اللوغس Logos أو الروح Spirit أو الحكمة Wisdom هو بالنسبة

لله كالفكر بالنسبة للإنسان، ليس بذى وجود متميز أو شخصية منفصلة بذاتها..»

هكذا رفضت الفرقة «البوليانية» -التى تبلورت أفكارها وعقائدها فى القرن الثالث الميلادى -الفكر الوثنى الذى طرأ على العقائد النصرانية، وأعادت النقاء إلى عقيدة التوحيد.

ولقد لخص الفيلسوف واللاهوتى اليعقوبى ابن العبرى -أبو الفرج غريغوريوس- (٦٢٣ - ٦٨٥ هجرى، ١٢٢٦ - ١٢٨٦ م)- عقيدتهم فى التوحيد، فقال: إنهم يقولون: «إن جميع معلولات الله تعالى إرادية، وليس له معلول ذاتى البتة، ولذلك لم يلد ولم يولد، ولهذا لم يكن المسيح كلمة الله.. وإنما حصل الكمال بالاجتهاد. فكل من تعاطى رياضته نال درجته»(١).

كما لخص أبو البركات ابن كبر (٧٢٤ هجرى، ١٣٢٤ م) وهو قس وكاهن قبطى، وعالم موسوعى كبير لخص عقيدة هذه الفرقة الموحدة، فقال عنها: إنها ملة تدعى «البولية» -و«البوليانيون» -وهى ملة بولس السمساطى -بطريرك أنطاكيا، وهم الذين يؤمنون:

(١) ابن العبرى (تاريخ مختصر الدول) ص ٧٦، طبعة بيروت سنة ١٩٥٨م) والنقل عن: حسني يوسف الأطير (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ص ٤٧- ٤٩ طبعة مكتبة النافذة القاهرة سنة ٢٠٠٤ م).

● بأن الله إله واحد، جوهر واحد، قنوم واحد.

● ولا يسمونه بثلاثة أسماء.

● ولا يؤمنون بالكلمة أنها مخلصة، ولا أنها من جوهر الآب.

● ولا يؤمنون بالروح القدس المحيى.

ويقولون إن المسيح إنسان، خلق من اللاهوت مثل خلق آدم، وكمثل واحد منا فى جوهره، وأن الابن ابتداؤه من مريم، وإن اصطفى بالموهبة ليكون مخلصًا للجوهر الإنسى، وصحبته بعد ذلك النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة، لذلك سمى ابن الله(١).

ولقد توالت -مع توالى قرون التاريخ النصرانى -الفرق والدعوات والمذاهب التى تسعى لمغالبة الشرك والوثنية والتثليث، وتدعو إلى العودة إلى عقيدة التوحيد أو الاقتراب من هذا النقاء.

وفى هذا السياق، تحدث التراث والتاريخ النصرانى عن:

٢ -الأبيونيين:

الذى جاء عنهم فى كتاب (الدسقولية تعاليم الرسل) -الجامع لآراء واقتباسات الآباء الأول للكنيسة:

(١) ابن كبر (مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة) ج١ ص ٣٥، ٣٦ - والنقل عن (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية) ص ٤٩.

«إنهم قومٌ يظنون أن ابن الله إنسان»[١].

٣ -ومذهب مكدونيوس (٣٥١ - ٣٦٠م):

بطريرك القسطنطينية -الذى قال: إن الروح القدس غير مساو للأب والإبن.. والذى ناقش أفكاره هذه ومذهبه مجمع القسطنطينية سنة ٣٣١ م[٢].

٤- ومذهب الراهب البريطانى بيلاجيوس ٣٦٠- ٤٢٠ Pelagius):

الذى أنكر الأسس العقائدية التى بنيت عليها عقيدة التأليه للمسيح.. والصلب.. والفداء.. وذلك عندما قال:

«إن الطبيعة البشرية لم تسقط وأنه لا أصل للقول بالفساد الموروث، وأن الإنسان قادر على عمل الصلاح، فلا يحتاج لإكماله إلى سوى الإرادة»[٣].

٥- ومذهب النساطرة:

أتباع نسطور (٣٨٠ -٤٥١ م) الذى أنكر اتحاد اللاهوت بالناسوت فى أحشاء مريم، وقال إنها لم تلد إلا إنسانًا فقط.. وقال إن اتحاد

(١) (الدسقولية) فصل ٢١ / ٢ -بتحقيق: د. وليم سليمان قلادة، والنقل عن (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية) ص ٤١

(٢) د. سليم نجيب (الأقباط عبر التاريخ) ص ٤٤، طبعة دار الخيال، القاهرة سنة ٢٠٠١م.

(٣) (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية) ص ١٥٥، ١٥٦.

اللاهوت بالشخص يسوع المولود من مريم إنما كان مجرد توافق فى الإرادة فحسب، وليس اتحادًا فى الطبيعة.

ولقد ناقش مجمع إفسس مذهب النساطرة سنة ٤٣١ م[١].

٦- ومذهب أوطاخى -أو أوطيخا -(٤٤٥ م):

الذى قال بأن لاهوت المسيح امتص ناسوته كما يمتص المحيط قطرة من الخل.

ولقد ناقش مجمع إفسس أفكار هذا المذهب سنة ٤٤٩م[٢].

وهكذا توالت -على امتداد القرون الأولى للنصرانية -المذاهب والدعوات التى تحاول الانتصار لنقاء عقيدة التوحيد -التى جاء بها المسيح -عليه السلام -، ومغالبة الوثنية التى صبغت بها الحضارة الرومانية تعاليم المسيح.. حتى جاءت أخطر هذه الدعوات من حيث القوة والانتشار -وهى دعوة:

٧- آريوس (٢٥٦ -٣٣٦ م):

التى ذاعت وانتشرت عبر العالم المسيحى - منذ القرن الثالث الميلادى -وحتى القرن السابع -الذى أشرق فيه التوحيد الدينى -فى صورته المثلى -بشريعة الإسلام.

(١) المرجع السابق. ص ١٥٦.

(٢) (الأقباط عبر التاريخ) ص ٤٤، ٤٥.

● لقد تعلم آريوس على يد «لقيانوس» (٢٣٥ -٣١٢م) -الذى كان أستاذ أنطاكيا الشهير. . كما أخذ عن «أوريجانوس» (١٨٥ -٢٥٣م) الفيلسوف والمفكر الأشهر بالإسكندرية. .

● ثم رسم كاهنًا بمصر سنة ٣١٠ م.

● ولأن آريوس كان داعية إصلاح للعقائد النصرانية، من داخل الكنيسة -التى كانت تؤله المسيح. . وتعتمد الأناجيل التى كتبت فى بعضها العبارات التى توهم بهذا الاعتقاد. . فلقد دعا -آريوس إلى توحيد الذات الإلهية -مع القول بأن العالم مخلوق للمسيح، لأنه العقل الأول المخلوق لله. . والتى ترجع إليه المخلوقات التالية له. . فاستخدم نظرية الفيض الأفلاطونية لتعديل المقولة الوثنية القائلة إن المسيح هو الكلمة -اللوغس Logos عقل الله، الصادر عنه بالضرورة، وليس بالإرادة. . والمتحد معه فى الجوهر.

ذهب آريوس الى هذا «التصور المعدل» للعقيدة النصرانية، فقال: إن كلمة الله مخلوقة، مباينة للجوهر لذات الله، لأنها عبارة عن العقل، الذى هو المعلول الأول وهو أول ما خلق الله. . وصاغ للإيمان قانونا يقول: «إن الله جوهر أزلى أحد، لم يولد. وبحصر المعنى لم يلد: فكل ما سواه مخلوق، حتى» الكلمة»، أو الإبن. والكلمة، كغيره من الكائنات، مخلوق من لا شيء، وليس من جوهر الله فى شيء،

وقد كان زمان لم يكن فيه» الكلمة»، ثم كان، بملء إرادة الله، لا بالضرورة. فليس إذن هو الله، ولا من جوهر الله، بل هو متميز عنه أقنوما وطبعا.

والكلمة الخليقة الأولى، وبه خلق كل شيء، وهو من طبعه قابل للتغير، ولكن الله جعله غير متغير، فهو إذن نسيج وحده، ولهذا ومثله من الأشباه بينه وبين الله، لا عن طبع وحق، بل عن واقع ومنّة، سمى إلها.

والثالوث - الآب.. والابن.. والروح القدس -ثالوث متدرج، لا يتساوى فى الجوهر الواحد.

ولقد راجت وانتشرت دعوة آريوس - الذى كان خطيبا بليغا -فى كراسى سورية والشرق.. ونصره وأيده أسقف قيصرية «أوسابيوس» (٢٦٣ - ٣٤٠ م).. وأسقف نيقوميدية... ولقد وجدت الآريوسية معارضة شديدة، تزعمها - فى مصر - الشماس أثناسيوس (٢٩٥ - ٣٧٣م) -الذى أصبح فيما بعد أشهر اللاهوتيين فى الكنيسة القبطية.. ولقد عقد لمناقشة الأريوسية مجمع سنة ٣١٩ م، ولم يحقق شيئا.. ثم تلاه مجمع آخر - فى الإسكندرية -سنة ٣٢١ م، قرر عزل آريوس ومؤيديه، ولبقاء النزاع العقدى دون حسم دعا الإمبراطور الرومانى قسطنطين (٣٢٤ -٣٣٧ م) إلى المجمع المسكونى

فى نيقية سنة ٣٢٥ م، فشجب مذهب آريوس، واعتمد قانون الإيمان الذى يؤله المسيح، ويجعله من جوهر الله. . . والذى يقول: نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، له وللآب جوهر واحد. .

ومن قال بأنه «كان زمان لم يكن فيه» و«أنه لم يكن قبل أن يولد» و«أنه صنع من لا شيء» ، أو «من جوهر آخر» فليكن محروما!.

ومع رفض هذا المجمع للآريوسية. . وتكريسه لعقيدة بولس الرومانية فى تأليه المسيح، على هذا النحو من التعدد والشرك والوثنية. . حكم - هذا المجمع -على آريوس بالحرمان الدينى. . وبالنفى.

● وخلال السنوات العشر التى أعقبت هذا التاريخ - تاريخ انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م -لم تتوقف الآريوسية عن المقاومة والصمود والانتشار. . فانعقد مجمع القدس سنة ٣٣٥ م، الذى قرر العفو عن آريوس، وقضى بنفى خصومه بدلا منه!.

وفى أعقاب انعقاد مجمع القدس هذا، توفى آريوس - سنة ٣٣٦ م - فى ظروف غامضة- و هو فى طريق عودته من منفاه إلى القسطنطينية!.

ولقد قدر للآريوسية أن تنتشر بعد وفاة آريوس أكثر مما كان أثناء حياته، وأوشك العالم أن يكون آريوسيا -حسب قول الخصوم

أنفسهم - لولا تدخل الأباطرة الرومان، والعمل على محاربة تلك العقيدة، واستئصال متبعيها.

- لكن الصراع ظل قائما فى كنائس الدولة الرومانية، بين الآريوسية التى تتعلق -على نحو ما -بالتوحيد.. وبين التثليث والتأليه للمسيح.. وبعد ثلاثين عاما من وفاة آريوس، أعاد الإمبراطور الرومانى يوليانوس الجاحد (٣٦١ -٣٦٣ م) خصوم آريوس المنفيين، ليبدأ تصاعد الاضطهاد للآريوسية من جديد.. ثم دعا الإمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩ -٣٩٥ م) -و هو من أنصار أثناسيوس -إلى عقد المجمع المكونى فى القسطنطينية سنة ٣٨١ م.. فكرست مقررات هذا المجمع قانون الإيمان الذى أقره مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م من جديد ![١].

وبذلك نصر الأباطرة الرومان، والمجامع التى عقدت تحت وصايتهم، وفى الحواضر الرومانية -عقيدة بولس الرومانية فى التثليث وتأليه المسيح.. وظل الصراع قائما بين هذه العقيدة وبين عقيدة التوحيد - كما تصورها وبلورها الآريوسيون.

وإذا كان الفكر الذى أشيع وروج له فى الأدبيات الكنسية قد حاول تشويه الآريوسية، والتعمية على تاريخها وتأثيراتها.. فإن وقائع الصراعات بين الكنائس النصرانية حول طبيعة الإله المعبود..

(١) (دائرة المعارف)- بإشراف فؤاد أفرام البستانى، مادة «آريوس»، طبعة بيروت سنة ١٩٥٦ م. و(عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية) ص ٥٦ -٥٨.

والأدبيات التى تحدثت عن هذه الصراعات قد تناثرت فيها العبارات التى تشير إلى أن الآريوسية قد ظلت تفرض سلطانها فى الكثير من مناحى العالم المسيحى حتى ظهور الإسلام -فى القرن السابع الميلادى -و الذى وجد فيه الكثير من الآريوسيين ضالتهم المنشودة فى نقاء عقيدة التوحيد، فأسرعوا إلى الدخول فيه.

● وإذا شئنا إشارات من تلك الوثائق والأدبيات التى تناثر فيها الحديث عن الآريوسية والآريوسيين، إبان ظهور الإسلام، فإنا واجدون على سبيل المثال:

١- رسالة رسول الله محمد بن عبد الله -سنة ٧ هجرى سنة ٦٢٨م -إلى هرقل (٦١٠ -٦٤١م) قيصر الروم.. والتى حذره فيها من استمرار اضطهاد الدولة الرومانية للآريسيين... فلقد جاء فى هذه الرسالة:

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الآريسيين...(١).

(١) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص ٥٠، تحقيق: د. محمد حميد الله الحيدر آبادى. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

٢- ورسالة رسول الله -إلى النجاشى -ملك الحبشة -سنة ٦ هجرى سنة ٦٢٧ م -.. والتى أشار فيها الرسول إلى عيسى بن مريم - عليه السلام -بأنه «مخلوق» خلقه الله «كما خلق آدم»..

«وأشهد أن عيسى بن مريم، روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة المطهرة الطيبة الحصينة، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه»(١).

ولقد كانت الاستجابة الإيجابية- من قبل النجاشى -لهذه الرسالة النبوية شاهدا على أن النجاشى كان ممن يؤمنون بأن المسيح مخلوق -و هو مذهب الآريوسيين-.. وليس «مولودا غير مخلوق» كما كان الأمر فى قانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م.

٣- وكذلك الحوار الذى دار بين النجاشى وبين المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، فرارا من اضطهاد المشركين القرشيين.

فلقد بعثت قريش من يحرض النجاشى عليهم.. وأراد رسول قريش -يومئذ -عمرو بن العاص -أن يحرك غضب النجاشى ضد هؤلاء المسلمين المهاجرين، فقال للنجاشى:

«إنهم يزعمون أن المسيح ابن مريم عبد».

(١) رفاعة الطهطاوى (الأعمال الكاملة) ج ٤ ص ٣٢٧ -دراسة و تحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م.

فلما سمع النجاشى من هؤلاء المهاجرين على لسان جعفر بن أبى طالب -قول القرآن فى المسيح -كما جاء فى صدر سورة مريم -و فيه -على لسان المسيح- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] وكذلك: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٥، ٣٦].

لما سمع النجاشى ذلك -الذى قرره القرآن من أن المسيح عبد الله.. وأن الله -سبحانه وتعالى -ما كان له أن يتخذ ولدا- بكى حتى اخضلت لحيته بدموعه، وبكى أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم - (لأنهم كانوا يقارنون القرآن الذى سمعوه بما فى «مصاحفهم» عن المسيح عليه السلام)..

وقال النجاشى تعليقا على ما سمع من قول القرآن فى المسيح:

«والله يا معشر القسيسين والرهبان، إن هذا الكلام والذى أنزل على عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة»[1].

الأمر الذى يقطع بأن مذهب أهل الحبشة وملكها -يومئذ -لم يكن مذهب الذين يؤلهون المسيح - عليه السلام -.. ويعتبرونه غير مخلوق.

(١) المصدر السابق. ج٤ ص ٣٢٥.

٤- وكتاب الأسقف المصرى يوحنا النقيوسى -الذى كان شاهد عيان على الفتح الإسلامى لمصر -.. والذى كان أحد اثنين هما أبرز أساقفة الكنيسة المصرية الأرثوذكسية يومئذ.. والذى عاصر البابوات: يوحنا الثالث (٦٧٧ -٦٨٦م) وإسحاق (٦٨٦ - ٦٨٩م) وسيمون الأول (٦٨٩ -٧٠٧ م)- فى هذا الكتاب - الذى كتبه أرثوذكسى، معادى للآريوسية -تناثرت الإشارات الدالة على الوجود الفاعل والواسع للآريوسية -بمصر والدول الرومانية -إبان الفتح الإسلامى لمصر حول منتصف القرن السابع للميلاد.

وعلى سبيل المثال، يذكر النقيوسى الآريوسيين ويشير إليهم بعبارات من مثل:

- «تعليم الآريوسيين الأشرار»![1].
- والمدح للملك أرقاديوس (٣٩٥ -٤٠٨ م) الذى قضى على ثورة جايناس «الخارج على الشريعة والمنتمى لجماعة الأريوسيين الأنجاس!»[2].

---

(١) يوخنا النقيوسى (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى) ص ١٢٠، ترجمة و دراسة: د. عمر صابر عبد الجليل -طبعة عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية -القاهرة سنة ٢٠٠٠ م.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣.

● كما تناثرت فى كتاب النقيوسى كلماته الغاضبة والحانقة -و هو الأسقف الأرثوذكسى -على مسارعة الأريوسيين -مع بعض الوثنيين والكاثوليك -الذين كانت بينهم وبين الأرثوذكس صراعات وثارات - مسارعتهم إلى الدخول فى الإسلام، والانضمام إلى الجيش الإسلامى، حتى قبل تمام الفتح الإسلامى لمصر، وسقوط الإسكندرية بيد الفاتحين المسلمين.. فنراه يقول -مثلا -:

«والآن كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة، أنكروا العقيدة الأرثوذكسية والمعمودية الحية، وساروا فى عقيدة الإسلام، وأخطأوا - مع هؤلاء الوثنيين -و أخذوا فى أيديهم السلاح وحاربوا المسيحيين (الرومان)، وكان أحدهم، واسمه يوحنا الخلقدونى، من دير سينا، انضم إلى عقيدة الإسلام، وترك زيه الكنسى، واتخذ له سيفا، وطارد المسيحيين المؤمنين بسيدنا يسوع المسيح»[١].

وفى موطن آخر.. ومناسبة أخرى.. يقول النقيوسى:

«وعندما وصل هؤلاء المسلمون- (إلى حصن بابليون)- مع المصريين الذين جحدوا عقيدة المسيحية، وانضموا إلى عقيدة هذا المفترس»!![٢].

(١) المصدر السابق ص ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٧.

وفى حديثه عن صلح عمرو بن العاص مع حامية حصن بابليون. . يذكر النقيوسى تسامح الإسلام مع سجناء ذلك الحصن المسيحيين. . ويذكر انتقام الأريوسيين من هؤلاء الأرثوذكس. .

فعندما صالح عمرو بن العاص على تسلّم حصن بابليون، كتب رسالة للجنود الذين كانوا به أن لا يقتلوا السجناء الأرثوذكس الذين كانوا مسجونين به -من قبل الرومان -. . ولكن تصفية حسابات الصراعات الدينية القديمة، والثارات المذهبية المتراكمة بين كل من الأريوسيين والأرثوذكس، جعلت الأريوسيين- الذين انضموا لجيوش الفتح الإسلامى -يقتلون -يوم عيد القيامة -السجناء الأرثوذكس. . وفى ذلك يقول النقيوسى:

«وفى يوم عيد القيامة المقدسة هذا أطلقوا المسجونين الأرثوذكسيين. ولم يتركهم أعداء المسيح النجسين الذين لوثوا الكنيسة بالعقيدة النجسة، وارتكبوا إلحاد وعصيان طائفة الأريوسيين. . بل أساءوا إليهم، وقطعوا أيديهم واحتقروهم فى هذا اليوم، وارتكبوا معهم ما لم يرتكب مثله جماعة الوثنيين والبربر، ولم نجد من يصنع مثل هذا ممن يعبدون الأصنام الكذبة، وكانوا يظنون أنهم يكرمون سيدنا المسيح بعملهم هذا، ويدينون الذين لم ينضموا إليهم فى عقيدتهم الضالة»[1].

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤.

● كما يشير النقيوسى إلى حقيقة هامة أخرى -أغفل الإشارة إليها الكثير من المؤرخين -وهى أن مصر كانت تضم -إلى جانب الرومان الملكانيين الكاثوليك، وإلى جانب الأريوسيين، والأرثوذكس -كانت تضم قطاعات واسعة من الوثنيين، الذين بقوا على الديانة المصرية القديمة، والذين عاشوا وعانوا صراعات مريرة مع الأرثوذكس على وجه الخصوص.

فلقد احترف الأرثوذكس -الذين كانوا ضحايا الاضطهاد الرومانى - قتل الوثنيين، وسحل فلاسفتهم، وتدمير معابدهم، وإحراق مكتباتهم، وكنموذج على هذه الوحشية الأرثوذكسية، يقول النقيوسى معترفا ومباهيا:

«وفى حكم تاودسيوس -(الثانى)- (٤٠٨ -٤٥٠م) امتلأ أهل الإسكندرية الأرثوذكسيين حماسا، وجمعوا خشبا كثيرا وحرقوا مقر الوثنيين الفلاسفة. .و قامت جماعة المؤمنين بالرب مع الوالى بطرس، الذى كان مؤمنا تماما لكل ما ليسوع المسيح، وذهبوا للبحث عن هذه المرأة الوثنية -«إباتيه» (٣٧٠ -٤١٥م)- فوجدوها تجلس على كرسى- (التدريس فى الأكاديمية)- فأنزلوها من الكرسى وسحبوها حتى أوصلوها إلى الكنيسة العظيمة التى تسمى قيسارية قيصرون، وكان هذا فى أيام الصوم، ونزعوا ملابسها، وسحبوها حتى أحضروها إلى شوارع المدينة حتى ماتت، وألقوا بها فى مكان يدعى نيكيتارون.

وكان كل الشعب يحيط بالبطريرك قيرلوس، ويسمونه ثاوفيلوس الجديد، لأنه أزال باقى الأوثان من المدينة»![1].

هكذا قاد البطريرك الأرثوذكسى قيرلوس جماهير المؤمنين الأرثوذكس فى هذا العمل الوحشى ضد الفيلسوفة وعالمة الفلك -الجميلة -«إباتيه»!..

أما سلفه الذى كان قدوة له ومثلا أعلى فى هذه الوحشية التى مارسها الأرثوذكسى ضد الوثنيين، فهو -كما يقول النقيوسى -ثيوفيلوس (٣٨٥ -٤١٢م)-.. وهو الذى استصدر سنة ٣٩١ م إذنا من القيصر «ثيودوسيوس» يقضى بتدمير أكبر وآخر محج للعلم القديم، وهى أكاديمية الإسكندرية الكبرى (السيرابيوم)، وبتقديم ٣٠٠ ألف لفافة طعما للنيران، وبذلك تعرضت البشرية لأفدح خسارة فى تاريخها.

وفى القرن الخامس، يعترف «آنيوشين»-صديق البطريرك «سيفيروس» -بأنهما كانا عضوين فى مجموعة إرهابية مسيحية فى الإسكندرية، وأنهما قاما بمحاربة العلماء الوثنيين، وبمهاجمة دور الثقافة، ودمروا مكتباتهم ومنشآتهم، واختفى بذلك ملاذ آخر من معاقل العلم الهلينى[2].

(١) المصدر السابق ص ١٢٥.

(٢) سيجريد هونكة (العقيدة والمعرفة) ص ٢٥، ٢٤، ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق سنة ١٩٨٧م.

ولهذا التاريخ الدموى بين الأرثوذكس وبين الوثنيين.. أسرع هؤلاء الوثنيون -مثلهم مثل الأريوسيين -إلى الدخول فى الإسلام -مع بدء الفتح الإسلامى لمصر -و إلى هذه الحقيقة يشير الأسقف يوحنا النقيوسى، فيقول:

«وكان رجل اسمه ميناس، عين من قبل هرقل على الوجه البحرى.. وبعد أن أخذ المسلمون كل البلد أبقوه فى وظيفته..

وعينوا رجلا اسمه سينودا فى بلاد الريف. وآخر اسمه فيليكسانوس، عينوه فى مدينة أرجاديا..

وهؤلاء ثلاثتهم يحبون الوثنيين، ويكرهون المسيحيين، ويضطرون المسيحيين أن يحملوا العلف للحيوان.. واللبن والعسل والفاكهة والكراث، وأعمال أخرى(١).

كما يتحدث النقيوسى عن ولاة وقادة فى جهاز دولة مصر الرومانية، انضموا إلى الجيش الإسلامى الفاتح، وقدموا له الكثير من الآليات والأدوات التى أسهمت فى انتصاره على جيوش الرومان المحتلين.. وفى ذلك يقول:

«... وعندما استولى المسلمون على فيوم وكل ضواحيها، أرسل عمرو (بن العاص)- إلى أبا كيرى- (أبا قيرس)- حاكم دلاص -ليأتوا

(١) (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى) ص ٢١٢، ٢١٣.

بسفن الريف لتنقل الإسماعيليين (العرب المسلمين)- الذين كانوا غربى النهر إلى الشرق. وجمع إليه كل الجنود ليشنوا كثيرا من الحروب. وأرسل إلى جيورجيس الوالى ليشيد له قنطرة عند النهر بمدينة قليوب، ليستولى على كل مدن مصر.. فأخذوا يعينون الإسلام»[1].

وهكذا تناثرت فى كتاب النقيوسى الإشارات إلى «معالم الخارطة الدينية» التى كانت لمصر، والدولة الرومانية، إبان الفتح الإسلامى لمصر -أوائل العقد الخامس من القرن السابع الميلادى -و كيف ضمت هذه» الخارطة» التيارات المتعارضة.. والمتصارعة.. من المسيحيين المختلفين حول طبيعة الإله المعبود.. ومن الوثنيين المعادين للمسيحية بإطلاق.. وكيف وجد الوثنيون والأريوسيون خلاصهم من الإضطهاد الأرثوذكسى والرومانى فى اعتناق الإسلام، فور الفتح الإسلامى لمصر..

لكن الأسقف يوحنا النقيوسى -مع عدائه للآريوسيين والوثنيين.. ومع سخطه على إسراعهم إلى الدخول فى الإسلام -لم ينس الاعتراف بفضل الفتح الإسلامى على الأرثوذكسيين والأرثوذكسية.. هذا الفتح الذى أنقذهم من الإبادة الرومانية.. والذى جعل بقاء الكنيسة الأرثوذكسية وحياتها واستمرارها هبة من هبات الفتح التحريرى للأوطان الشرقية والعقائد والضمائر فى شعوب هذه الأوطان.. لقد

(١) المصدر السابق ص ١٩٥.

حرر الإسلام سائر العقائد والمذاهب والملل التى اضطهدها الرومان المحتلون وقهروا أهلها وثقافاتها لعدة قرون.. ولم يقف تحريره فقط عند الآريوسيين.

نعم... لقد أشار اللأسقف يوحنا النقيوسى إلى هذه الحقيقة التاريخية، عندما تحدث عن هذا الفتح الإسلامى -الذى أنقذ الأرثوذكسية من الإبادة الرومانية.. وأنقذ كنائسها وأديرتها من الاغتصاب الرومانى.. وأعاد البطريرك الأرثوذكسى «بنيامين» (٣٩ هجرى ٦٥٩ م) من الهرب والمنفى الذى استمر ثلاثة عشر عاما..

اعترف النقيوسى بكل ذلك، وأشار إليه، فقال:

«إن الله الذى يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدى الإسماعيليين.. ونهض المسلمون، وحازوا كل مصر.. وكان هرقل حزينا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا فى مصر.. وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم.. مرض هرقل ومات.. وساد المسلمون مصر.. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها، ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئا ما، سلبا أو نهبا، وحافظ عليها (الكنائس)- طوال الأيام..»[1].

(١) المصدر السابق ص ٢٠١، ٢٢٠.

وتحدث النقيوسى عن أفراح الأرثوذكس بتحرير عمرو بن العاص للبطريرك «بنيامين».. وتأمينه.. وتحرير كنائسهم وأديرتهم من الاغتصاب الرومانى، وردها إليهم.. فقال:

ودخل الأنبا بنيامين بطريرك المصريين مدينة الأسكندرية، بعد هربه من الروم فى العام ١٣ وسار إلى كنائسه، وزارها كلها.. وخطب فى دير «مقاريوس» فقال:

لقد وجدت فى الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهاد والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون.

وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، و انتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك. وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس» (البطريرك المعين من قبل الرومان)[١].

ثم ختم النقيوسى شهادته بالاعتراف بالأمن والسلام الذى تحقق للأرثوذكس ومذهبهم وكنائسهم وأديرتهم.. الأمن والسلام الذى حققهما الفتح الإسلامى.. وكيف استراح الأرثوذكس -بشهادة الأسقف القديس يوحنا النقيوسى -من الصراعات التاريخية بينهم وبين الوثنيين والنصارى غير الأرثوذكس - الأريوسيين.. والكاثوليك -.. الذين يسميهم «الهراطقة العصاة!»-.. فقال:

(١) المصدر السابق ص ٢٢٠.

«و الآن، نمجد ربنا يسوع المسيح، ونبارك اسمه المقدس فى كل وقت، لأنه نجانا، نحن المسيحيين، من ظلال الوثنيين الضالين ومن عصيان الهراطقة العصاة حتى هذه الساعات»[(١)].

و إذا كانت وقائع ذلك التاريخ لم تترك لنا الأرقام التى تحدد تعداد كل مذهب من المذاهب التى كونت «الخارطة الدينية» لمصر.. كم كانت نسبة كل مذهب وملة إلى مجموع سكان مصر -الذى كان يومئذ ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة -؟.. فإن معدلات انتشار الإسلام بالدولة الإسلامية، ومعدلات انتشاره بمصر، تشير إلى أن الأريوسيين والوثنيين المصريين الذين سارعوا للدخول فى الإسلام فور بدء الفتح الإسلامى قد كانوا يمثلون أغلبية سكان مصر يومئذ.. بينما كان الأرثوذكس الذين صمدوا صمودا بطوليا أمام الاضطهاد الرومانى والذين ظلوا على عقيدتهم -فى الغالب- بعد الفتح الإسلامى كانوا أقل من نصف سكان البلاد..

لقد ظلت نسبة المسلمين فى الدولة الإسلامية، بعد قرن من الفتح الإسلامى حول ٢٠ ٪من سكان هذه الدولة.. بينما كان أهل مصر الأسرع والأكثر فى اعتناق الإسلام.

● لقد فتحت مصر سنة ٢٠ هجرية سنة٦٤١م وكان سكانها ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة.

(١) المصدر السابق ص ٢٢٢.

● وعند نهاية خلافة معاوية بن أبى سفيان (٦٠ هجرية ٦٨٠ م) -أى بعد نصف قرن من الفتح الإسلامى -كان قرابة نصف المصريين لا يزالون على نصرانيتهم-إذ كان عدد النصارى ١٤٠,٠٠٠ نسمة -أى أن أكثر من نصف سكان مصر قد دخلوا فى الإسلام.

● وفى نهاية عهد هارون الرشيد(١٩٣ هجرى ٨٠٩ م)- أى بعد مرور قرنين على الفتح الإسلامى -كانت نسبة الذين بقوا على نصرانيتهم -من السكان -نحو الربع -أى ٦٥٠,٠٠٠ نسمة من ٢,٦٧١,٠٠٠ نسمة هم تعداد مصر فى ذلك التاريخ -أى أن نسبة من الأرثوذكس قد أخذت تتعرف على الإسلام، وتدخل فيه.

● وفى القرن التاسع الميلادى -أى بعد قرنين ونصف على الفتح الإسلامى -كانت نسبة غير المسلمين -نصارى ويهود -خمس السكان -أى ٢٠ ٪غير المسلمين.. و٨٠٪ مسلمين -[1].

أى أن مصر من بين أقطار الدولة الإسلامية -كانت أسرع البلاد دخولا فى الإسلام، بسبب النسبة العالية بين سكانها الذين كانوا على مذهب الأريوسية.. وعلى الوثنية.. والذين سارعوا -فور بدء الفتح -إلى الدخول فى الإسلام.. كما شهدت بذلك نصوص الأسقف يوحنا النقيوسى -شاهد العيان على الفتح الإسلامى لمصر..

(١) فيليب فارج، يوسف كرباج (المسيحيون و اليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى) ص ٢٥، ٤٦، ٤٧ ترجمة بشير السباعى. طبعة دار سينا. القاهرة سنة ١٩٩٤م.

ولم يكن الشرق وحده هو الذى انتشرت فيه الأريوسية -فى القرون التى سبقت ظهور الإسلام -و إنما كان انتشارها عاما فى الفضاء المسيحى الأوروبى . .

- ففى سنة ٣٤١ م -أى بعد خمس سنوات على وفاة آريوس -اختار الملك «أوزيت دى نيكوميدى» المبشر القوطى -الإسبانى -«فولفيلا» ليكون مطرانا للنصرانية الأريوسية . . ثم دخلت هذه النصرانية الآريوسية إلى «إلّيرى» على نهر الدانوب . . وكذلك اعتنقتها أغلبية الشعوب الجرمانية .

- وفى شبه الجزيرة الأيبيرية -إسبانيا والبرتغال -القريبة من شمالى إفريقيا -الذى كانت تنتشر فيه الأريوسية -انتصر الملك «أوريك» سنة ٤٧٦ م للآريوسية، وقطع علاقاته بالإمبراطورية البيزنطية . . فانتشرت الأريوسية فى شبه الجزيرة الأيبيرية، وتدينت بها جماهيرها .

- وعندما ارتد الملك «ريكاريد» (٥٨٦ -٦٠١م) سنة ٥٨٧م عن الآريوسية - إلى التثليث وتأليه المسيح- ثار الآريوسيون ضده، وضد المسيحية المثلثة . . واستمرت هذه الثورة -فى كاتالونيا وناربونيز- على امتداد قرن من الزمان! .

- وعقب إحدى المجاعات، قام المسيحيون المثلثة بتنصيب الملك «رودريك» ملكا على شبه الجزيرة الأيبيرية -التى يتدين شعبها

بالأريوسية -.. وعندما غزا «رودريك» الأندلس -الجنوب- اصطدم بالمطران «أوباس» -مطران إشبيلية -فثار شعب الأندلس- الأريوسى -ضد الملك المثلث «رودريك»..

- وإبان هذه الثورة الأندلسية -الأريوسية -طلب السكان المساعدة من الأريوسيين -المتحدين معهم فى المذهب والاعتقاد -.. وطلبوها كذلك من مسلمى الريف المغربى -على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط -الذين حرر إسلامهم الأريوسيين فى المشرق -و دعوهم إلى المساعدة فى تحرير الأريوسيين بالجنوب الغربى لأوربا !.. وهنا هب المسلمون -بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢ هجرى سنة ٧١١ م لنجدة النصارى الآريوسيين -الموحدين -بالأندلس.

- وإبان معركة «غواداليت» -قرب قادس -انضم مطران «إشبيلية» -الآريوسى -«أوباس» إلى الجيش المسلم.. وكذلك فعل أسقف «توليدو» -«سانديريد» -فتكررت نفس المشاهد..انضمام الآريوسيين إلى الفتح الإسلامى -بمصر والمشرق.. وانضمامهم إلى الفتح الإسلامى للأندلس -و ذلك للطابع التحريرى الذى مثله هذا الفتح الإسلامى لكل أصحاب العقائد والديانات، وخاصة الذين وقعوا تحت القهر والاضطهاد الرومانى والبيزنطى.

تلك هى قصة الآريوسية، التى حاولت الاقتراب من نقاء التوحيد الدينى.. والتى خاضت صراعات طويلة ومريرة ضد عقائد التثليث والتأليه للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وإذا كانت هذه إشارات -مجرد إشارات- إلى صفحات من تاريخ التوحيد الدينى.. والتدافع بين هذا التوحيد وبين غبش الوثنية الذى عدا على نقاء هذا التوحيد فى التراث الدينى السابق على ظهور الإسلام.. فإن القارئ سيجد فى هذا الكتاب -الذى نقدم بين يديه- من الحقائق والوقائع -التى تجاهلها الكثيرون.. وجهلها الأكثرون!- ما ينعش الوعى والذاكرة بحقائق التوحيد التى غفل عنها وأغفلها هذا التاريخ..

الأمر الذى يجعل من صفحات هذا الكتاب إسهاما متميزا.. يفتح الباب لمزيد من الإسهامات فى هذا الميدان.

والله من وراء القصد.. نتوكل عليه.. ونسأله السداد والتوفيق

د. محمد عمارة

❁❁❁

المراجع

أولا: المراجع العربية

١- صحيح البخاري دار الشعب سنة ١٩٥٨.

٢-صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة سنة ١٩٩٦.

٣- د. عبد الستار فتح الله سعيد: المنهاج القرآني في التشريع، القاهرة ١٩٩٢.

٤- لسان العرب لابن منظور، دار الحديث ٢٠٠٣.

٥- الزبيدي في (تاج العروس) جـ١٦ صـ٣٤٤ طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٩٩٤.

٦- الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي للنشر، الرياض سنة ٢٠٠٣.

٧- جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، . دار الهلال.

٨- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض، سنة ١٩٩٩.

٩- كلمات القرآن تفسير وبيان، الشيخ حسنين مخلوف.

١٠- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث ١٩٩٠.

١١- تفسير الطبري، دار التوفيقية بالقاهرة سنة ٢٠٠٤.

٢١-في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق سنة ٢٠٠٧.

١٣- الدين للدكتور دراز طبعة دار القلم. الكويت.

١٤- حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف ١٩٧٧.

١٥- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الرياض سنة ٢٠٠٢.

١٦- عقائد النصارى الموحدين، حسني يوسف الأطير، دار الأنصار، القاهرة (عابدين)، ١٩٨٥.

١٧- الدسقولية تحقيق سليمان قلادة.

١٨- كتاب الجمان في أخبار الزمان، لمحمد الشطيبي المغربي نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

١٩- متى المسكين، التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي.

٢٠- أسد رستم، كنيسة الله مدينة أنطاكية العظمى.

٢١- تاريخ البطاركة: السيرة السادسة.

٢٢- تاريخ مختصر الدول -المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨.

٢٣- حضارة مصر في العصر القبطي، مراد كامل.

٢٤- د. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة طبعة مكتبة الثقافة الدينية.

٢٥- د. نبيل لوقا بباوي، إنتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، دار البباوي للنشر القاهرة.

٢٦- كتاب تاريخ الأمة القبطية الحلقة الثانية (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر) كامل صالح نخلة وفريد كامل عضوا لجنة التاريخ القبطي، نشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية.

٢٧- ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار الحديث بالقاهرة سنة ٢٠٠٣.

٢٨- السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل بيروت سنة ١٩٨٧.

٢٩- الصلابي: السيرة النبوية دروس وعبر، طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة.

٣٠- عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمون والروم في عصر النبوة نقلا عن الصلابي.

٣١ السيرة النبوية للندوي، الدوحة ١٩٨٠.

٢٣-رسالة نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية للدواليبي.

٣٣- مشكل الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي.

٣٤- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر تحقيق الأعظمي.

٣٥- الصراع مع الصليبيين لأبي فارس نقلا عن الصلابي.

٣٦- تاريخ الطبري.

٣٧- رحمة الله خليل الهندي: إظهار الحق، إختصار محمد ملكاوي، الرياض ١٩٨٩.

٣٨- كتاب «تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي -رؤية قبطية للفتح الإسلامي» ترجمه من النسخة الحبشية د. صابر عبد الجليل، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية.

٣٩- منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية.

٤٠- الهرطقة في الغرب، موريس عوض، بيروت ١٩٩٧

٤١- يوسوبياس، تاريخ الكنيسة تعريب مرقص داود.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1- The Chronicle of John Bishop of Nikiu ،translated from Zotenberg?s Ethipoic text by ،printed by Williams and Norgate ،London 1916

2- Dictionary of Christian Biography and Literature to the

End of the Sixth Century A.D. ،with an Account of the Principal Sects and Heresies. Author: Wace ،Henry (1836-1924)

3- C.A.Scott ،Encyclopedia of Religions and Ethics:

4- Albrecht Vogel «،Donatism «،Philip Schaff ،ed. ،Dictionary of Biblical ،Historical ،Doctrinal ،and Practical Theology٣ ،rd edn ،Vol. –١ Toronto ،New York & London: Funk & Wagnalls Company1894

5- The Oxford Encyclopaedic English Dictionary، ١٩٧٠ ، London.

6- Encyclopedia Britannica

7- Catholic Encyclopaedia

8- John Davenport ،An Apology for Muhammad and the Quran ،London 1869

9- Hubert Jedin ،The Early Church ،An Abridgement of history of the Church ،New York 1993.

10- Hyam Macoby ،the Myth Maker ،Paul and the invention of Christianity ،San Fransisco1986.

11- Webster ،the third international dictionary ،USA 2002

12- Arthur Fox ،Michael Servitos ،London ،1913.

13- AtauRahim ،Jesus the Prophet of Islam ،London ، 1977.

14- Sulayman Ibrahim ،The origin of the Bible ،Capetown2008.

15- Franklin Steiner ،The beliefs of our Presidents ،Milwaukee ،1936.

16- Jacob Burkhardt ،The age of Constantine the Great ، 1825

17- John Toland ،the Nazarenes 1718.

18- Professor Kurtz ،The History of the church ،Butler & Taner ،London 1932

19- Dimitrios Kousulas ،The Life and age of Constantine the Great ،MD ،USA 1997.

20- R.P.C. Hanson ،The search for the Christian Doctrine of God ،T&T Clark ،Edinburgh 1988

21- Maurice Wiles ،Archetypal Heresy ،Oxford 1996

22- Fredric Schluthis ،Ecumenical councils from Nicaea to Chalcedon ،Berlin 1908

23- Richard S. Westfall ،The life of Isaac Newton ،Cam-

bridge 1993.

▫▫ مواقع الإنترنت

1- www.arian-catholic.org

2- www.historyworld.net

3- www.islamonline.net

4- www.qaradawi.net

5- www.olamaashareah.net

6- http://www.gizapyramid.com/LECTURE-SHROUD-١htm

7- www.islam-christianity.net

❀❀❀

الفهرس



سيرة ذاتية

م. فاضل سليمان

- عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- مدير مؤسسة جسور للتعريف بالإسلام و تدريب الدعاة.
- ألقى مئات المحاضرات عن الإسلام لغير المسلمين بكنائس و جامعات العديد من الولايات الامريكية وأيضا بكندا و المكسيك ومعظم بلاد أوروبا.
- مؤلف سلسلة الأفلام التسجيلية "الصباب ينقشع" ومنها "الإسلام بإيجاز" الذي وزع منه 120 ألف نسخة وترجم لخمس وعشرين لغة عالمية منها العبرية ، و"الجهاد على الارهاب"، و" المرأة في الإسلام".
- مقدم البرنامج التليفزيوني الأسبوعي (العرض الاسلامي) في القناة 30 بالتلفزيون الأمريكي.
- مقدم البرنامج الاذاعي (دع القرآن يتكلم) بالراديو الأمريكي.
- أدار العديد من ورش العمل والندوات بالأمم المتحدة بنيويورك خلال مؤتمري المنظمات غير الحكومية عام 2002 و 2003.
- مؤلف فيلم "خدعة التبشير" باللغتين العربية والانجليزية والذي كان سببا في عودة العشرات من المتنصرين للإسلام.
- درب أكثر من 9000 مسلم في 16 دولة على فنون دعوة غير المسلمين ورد الشبهات عن الإسلام.

النور

للإنتاج الإعلامي والتوزيع

٣٢ ش هارون - المساحة - الدقي

ت/ف : 779 604 37 (202+)

www.elnoor.com

info@elnoor.com